الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشّعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي غرداية

معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية

شعبة العلوم الإسلامية

مقصد حفظ الدّين

مذكرة معدة لاستكمال متطلبات شهادة الليسانس في العلوم الإسلامية

تخصص: الفقه وأصوله. (L.M.D)

إعداد الطلبة:

- أبي اسماعيل باحمد
- أبي اسماعيل خالد

إشراف الاستاذ:

- بولقصاع محمد

السنة الجامعية : 1432-1433هـ/2011-2012م

شكر وعرفان

نشكرك ياربّنا يامولانا على أن وفقتنا لإتمام هذا العمل المتواضع، وبالمناسبة نتقدّم بأسمى عبارات الثناء والشّكر والعرفان لأستاذنا الكريم محمد بولقصاع الذي أشرف على هذا البحث. فأمدّنا بنصائحه وبذل جهده معنا، وكان نعم المرّبي الصادق.

وشكرنا موصول إلى أساتذتنا الكرام وإدارة جامعة غرداية لقسم العلوم الإسلامية الذين قدّموا لنا يد العون في تكويننا وبذلوا معنا جهودا كبيرة في إرشادنا طيلة هذه الدّفعة فجزاهم الله عنّا كلّ خير وسدّد خطاهم وبارك فيهم وجعلهم ذخرا لطلبة العلم والأمّة جميعا.

كما نتَقّدم بالشكر الجزيل إلى كلّ من كانت له يدا بيضاء في إنجاز وإتمام بحثنا هذا. وندعو الله لهم بالثواب والقبول والغفران والرّضوان.

والحمد لله ربّ العالمين

إهداء

إلى نبع الحنان والقلب الرّحيم أمّي وأبي الكريمين العزيزين اللذين ربيّاني تحت ظلّ القرآن الكريم والسنّة النّبوية، وأرشداني إلى دروب الخير، وألهماني روح العلم وكانا قبسا من نور في دياجير الحياة أسأل جلا وعلا أن يحفظهما من كلّ مكروه ويرعاهما ويبارك فيهما وأن يرزقهم الحياة الطيّبة الهنيئة وأن يثيبهم بالفردوس الأعلى.

إلى جميع إخواني وأخواتي الأعزاء الذين كانوا لي خير سند. أسال الله ان يوفقهم في دراستهم وحياتهم وأن يبارك فيهم.

إلى بهجة الفؤاد ورفيقة الدّرب وشريكة العمر زوجتي الكريمة.

إلى مشايخ العلم الأجلاء الذين قضوا أعمارهم علما وعملا،فقها ودعوة وصلاحا.

إلى كلّ من كان سببا في تكويني وتنشئتي تربية وعلما

إلى كلّ هؤلاء أهدي باكورة بحثي

باحمد أبي اسماعيل

إهداء

إلى حبيبي وقرة عيني وأستاذي وقائدي محمد ﷺ الذي أسأل الله أن يجعلني من رفقائه في الجنة...

وإلى كنفي العزيز والدي الكريمين رعاهما الله كما رعياني صغيرا وربوني على الدين والأخلاق وعلى طاعة الله ورسوله وأنشأوني بين أحضان العلم. اللهم لا ترضى لهما غير الفردوس الأعلى.

وإلى زوجتي العزيزة، رفيقة عمري التي صبرت معي وخففت عني مشقة البحث، أسال الله تعالى أن يسعدنا معا في الدنيا والآخرة.

إلى جميع إخواني وأخواتي الأعزاء الذين كانوا لي خير سند. أسال الله أن يوفقهم في حياتهم العلمية والعملية وأن يبارك فيهم.

إلى كل من علمني حرفا ودلني بكلمةٍ وأرشدني بدرسٍ وهداني بكتابٍ، أساتذتي منذ الصغر إلى الكبر، منهم من قضى نحبه ومنهم من لا زال على ذلك، اللهم اجزهم خير ما جازيت به عبدا من عبادك.

إلى كل يد ساهمت في هذا العمل المتواضع.

أهدي لكم كل جهد بذل، وكل قطرة حبر سالت وكل كلمة خير كتبت في هذا البحث الذي أسأل من الله العلي القدير أن ينفعني وينفع به الأمة الإسلامية.

خالد أبي اسماعيل

مقدّمة:

نحمدكَ ياربّ العالمين حمداً يليق بجلالكَ وعظيم سلطانكَ حمدا يوافي نعمكَ ويكافئ مزيدك، ونشهد أن لاإله إلاّ أنت وحدك لاشريك لك بارئ النّسم ومفيض النّعم، وباسط الوجود من العدم، شهادة نعدها للنّجاة إذا اشتدت الغمم، ونتقي بها النار ذات الضرم. ونشهد أنّ محمدا عبدك ورسولك سيّد من دعا على توحيدك من بين الأمم، وسلطان من طهر الأرض من عبادة الصنم، المنتجب من طينة الكرم، وسلالة المجد الأقدم، المبعوث بالآيات الباهرة والحكم. اللهم صلّ عليه وعلى آله لهاميم العرب ومعادن الكرم، وأصحابه حملة الكتاب وليوث الكتائب في المزدحم، الذين أشرقت شموسهم في الشرق والغرب فأماطت الظُّلم وأنارت الظلَم، وسلم ياربّ كثيرا وبعد:

إنّ علم المقاصد الشرعية كبقية العلوم الإسلامية، لم يدون في عصر الصحابة رضوان الله عليهم رغم أنهم مارسوه ولاحظوه في اجتهاداتهم الكثيرة، وإن لم يسموه بهذا الاسم، لكن هذا العلم بدأ في حلقات كما أشار إلى ذلك الريسوني[1] وذكر أن أول من استعمل لفظ المقاصد واعتنى بها الحكيم الترمذي.

وقد مر علم المقاصد بمراحل هي كالتالي:

المرحلة الأولى: اقترانه بغيره، وتشمل جهود الصحابة والتابعين، إلى عصر إمام الحرمين.

المرحلة الثانية: تميّزه عن غيره، من عصر إمام الحرمين إلى عصر العزّ بن عبد السلام.

المرحلة الثالثة: تخصيصه بالتأليف، من عصر العزّ بن عبد السلام، وشيخ المقاصد أبو إسحاق الشاطبي في كتابه الموافقات التي غدت المصدر الأساس، والمرجع المعتمد في فقه المقاصد ومصالح الإنسان، منذ تأليفها إلى اليوم دون منازع.

المرحلة الرابعة: ظهور التجديد والإجتهاد المقاصدي، بداية من الشيخ الطاهر بن عاشور صاحب كتاب "مقاصد الشريعة الإسلامية"، وإلى عصرنا الحاضر.

---

[1] – نظرية المقاصد ص40.

واقتداء بمنهج هؤلاء العلماء الذين بذلوا كلّ مافي وسعهم ليوضحّوا موضوع (مقاصد الشريعة الإسلامية)، نقتفي أثرهم في جزئية من المقاصد الضرورية، ألا وهي (حفظ الدّين وكيفية تطبيقه...).

- التعريف بالموضوع وأهميّته:

إنّ الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان في أحسن تقويم وكرّمه بالعقل وخلق الأنعام والثمار تسخيرا له وكلّ ذلك لأجل مقصد العبادة، وحمل الأمانة، وأن يكون خليفة في الأرض. فالتكليف مظهر من مظاهر تكريم الله له وتفضلّه على سائر المخلوقات فالأعمال والتكاليف التي خصّ بها الإنسان من حج ونفقات وكفّ عن الشهوات في الصوم ومناجاة في الصّلاة دالة على مكانة الإنسان عند الله، وعلى الثقة به. ويضاف إلى هذا مزيد إيثاره بالتكريم في الآخرة، حيث يحيا حياة سعيدة وهنيئة و أبدية في النعيم المقيم ويساكن النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فالشريعة السّمحاء توصله إلى تحقيق السعادة وتهديه إلى سواء السبيل، وتدله على البر، وتأخذ بيده إلى الهدي القويم، ونشر الخير وتكشف له المصالح الحقيقية، ثم وضعت له الأحكام الشرعية لتكون سبيلاً ودليلاً لتحقيق هذه المقاصد والغايات، فمن بين هاته المقاصد الضرورية حفظ الدّين الذي يعتبر أساس الضروريات الخمس فالعمل به يحقّق الضروريات الأخرى وبضياعه تزول وتندثر. فكثير من الآيات القرآنية حرّضتنا على إقامة الدّين منها قوله تعالى: ﴿**شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاء وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ**﴾ [الشورى:13] انقيادا بهاته الآية، يكون موضوعنا هو: **مقصد حفظ الدّين**.

دوافع اختيار الموضوع:

- ✓ بيان أهمية الدّين للنّاسِ، التي أهملت في زمن كثر فيه حبّ الدّنيا وشدّة التعلّق بها.
- ✓ حبّنا واهتمامنا الشديد بالدّين وحفظه.
- ✓ أهميّة موضوع المقاصد وقلّة التأليف فيه.
- ✓ قلة تطبيق أحكام الشريعة في واقع الأمّة الإسلامية الحزين.
- ✓ حتى نفقه المقصد الذي خُلقنا من أجله، وواجبنا نحو الإسلام.
- ✓ تحميل مسؤوليّة حفظ الدّين لكافّة المسلمين.

المناهج التي اعتمدناها في البحث:

1. منهج الاستقراء: منهج أساس في هذا البحث من حيث تأصيل مقصد حفظ الدّين من القرآن الكريم والسنّة النّبوية.
2. المنهج التحليلي في محاولة تحديد مفاهيم واصطلاحات الموضوع.
3. المنهج الوصفي في عرضنا لبعض المسائل وقول العلماء فيها.
4. المنهج التمثيلي في الفصل التطبيقي.

فالإشكال الذي طرحناه فصحبنا طوال البحث:

ما دور مقصد حفظ الدّين في رجوع المسلمين إلى حصن الله عز وجل.

والهدف من هذا الموضوع:

1. مساهمة المسلمين عامة في خدمة الدّين وحفظه، لأنّ به تستقيم أحوالهم، ويعيشون سعداء، ويستجلبون معيّة الله، ويمكّنون في الأرض.
2. تجنيب المسلمين الوقوع في الخرافات والبدع التي هي سبب تفرّقهم وفساد أحوالهم الدّينية والدّنيوية.

في هذا البحث تطرّقنا إلى بيان أهميّة الدّين وحفظه، وترتيبه في الضروريات الخمس، وإلى وسائله التي نتوصل بها إلى حفظه من جانبي الوجود والعدم، وأخيرا عرضنا نماذج يتبيّن لنا من خلالها كيفيّة حفظ الدّين ميدانيا.

وقد تطرّق لهذا الموضوع علماء أجلاء هم أهل لذلك، ومانحن إلاّ متطفلين على موائدهم ننتقي منها ألفاظاً ومعانٍ لنصنع منها طبقا بسيطا يكون في متناول جميع النّاس، نسأل من الله العلي القدير أن يجعلنا أهلا لذلك. وإليكموه وِفق الخطة التالية:

مقدمة:

المبحث الأول: مدخل لمقاصد الشريعة "حفظ الدين.نموذجا"

المطلب الأول: مدخل لمقاصد الشريعة. ف1: تعريف المقاصد"لغة، اصطلاحا".

ف2: أهمية المقاصد.

ف3: أقسام المقاصد.

المطلب الثاني: مقصد حفظ الدين. ف1: تعريف حفظ الدين "لغة، اصطلاحا".

ف2: أهمّية الدّين وحفظه.

ف3: مرتبة حفظ الدين في الكليّات الخمس.

المبحث الثاني: وسائل حفظ الدين.

المطلب الأول: من جانب الوجود. ف1: الإيمان بالله.

ف2:العمل بالدّين والحكم به.

ف3: الدّعوة إلى الله.

المطلب الثاني: من جانب العدم. ف1: الجهاد.

ف2: محاربة الردة.

ف3: محاربة الأهواء والبدع وأهلهما.

المبحث الثالث: نماذج من الكتاب والسيرة النبوية ومن حياة الصحابة.

المطلب الأول: من الكتاب والسيرة.

المطلب الثاني: من حياة الصحابة.

خاتمة.

المبحث الأول: مدخل إلى مقاصد الشريعة "حفظ الدين" نموذجا.

المطلب الأول: مدخل إلى مقاصد الشريعة.

الفرع الأول: تعريف المقاصد.

لغة: يأتي فعل قَصَدَ[1] في اللّغة على معان كثيرة منها:

✓ الإستقامة: قال تعالى: ﴿**وَعَلَى اللّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ**﴾ [النحل:9]، أي والسبيل القاصد هو الطريق المستقيم الذي لا يلتوي كأنّه يقصد قصدا إلى غايته فلا يحيد عنها[2].

✓ العدل: الوسط العدل بين الطرفين، فالقصد في المشْيِ هو أن يكون بين طرف التبختر وطرف الدّبيب. قال تعالى: ﴿**وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ**﴾ [لقمان:19]، ويقال: قصد في مشْيِه. فمعنى *اقصد في مشيك* ارتكب القصد[3].

✓ القرب: قال تعالى: ﴿**لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا**﴾ [التوبة:42]، قال ابن كثير :أي قريبا[4].

اصطلاحا: توجد تعريفات كثيرة للعلماء، إخترنا منها تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية، لشموليته.

تعريف مقاصد الشريعة عند ابن تيمية: "الحكم التي أرادها الله من أوامره ونواهيه لتحقيق عبوديته وإصلاح العباد في المعاش والمعاد"[5].

---

[1] – ابن منظور "لسان العرب"، ج11، ص 179-180.

[2] – سيّد قطب "في ظلال القرآن"، ج14، ص2162.

[3] – بن عاشور "التحرير والتنوير"، ج8، ص168.

[4] – ابن كثير "تفسير القرآن العظيم"، ج3، ص262.

[5] – د. يوسف البدوي "مقاصد الشريعة عند ابن تيمية"، ص50.

الفرع الثاني: أهمية المقاصد.

يقول الإمام الشاطبي:(المقاصد أرواح الأعمال...)[1].

إن الله تعالى ما خلق أي شيء من خلقه عبثا فما بالنا بمحور الكون، وهو الإنسان، قال تعالى: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**﴾ [المؤمنون:115]، أي أفظننتم أنكم مخلوقون عبثا بلا قصد ولا إرادة منكم ولاحكمة لنا[2]. وإن أعظم مقصد خلق من أجله الإنسان هو تحقيق العبودية لله تعالى وحده، قال الله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات:56]. والله جل جلاله شرع لنا دين الإسلام، فجاء عبارة عن أحكام وجعل لكل حكم في الدين مقصدا وحكمة من أجله شرع هذا الحكم المتمثل في جلب المصالح للعباد ودرء المفاسد عنهم، قال ابن مسعود رضي الله عنه: "إذا قال الله تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا**"، فارعها سمعك فإنه خير تؤمر به، أو شر تنهى عنه[3]، بل والقرآن الكريم كله، وكما قال العز –رحمه الله–: "وعلى الجملة فقد تمنن الرَّب سبحانه وتعالى على عباده بإرسال رسله وإنزال كتبه لما في ذلك من جلب مصالح الدنيا والآخرة ودرء مفاسدها"[4].

وحتى تتبين لنا أهمية المقاصد نقسمه إلى قسمين:

1. أهمية المقاصد بالنسبة لعامة المسلمين: هناك قولان للعلماء في حاجة عامة الناس لمعرفة المقاصد.

القول الأول: لا حاجة له بمعرفة المقاصد، لأنه علم دقيق يعني المجتهد فقط، ولو فتح باب المقاصد لعامة الناس لاختلطت النيات، ولانتشرت الحيلة على الله، ولوضعت الأحكام في غير موضعها، لقصور عقولهم ولجهلهم بالإجتهاد المقاصدي.

---

[1]– الشاطبي "الموافقات"،ج3، ص44.

[2]– ابن كثير "تفسير القرآن العظيم".

[3]– تفسير العز بن عبد السلام تفسير القرءان[اختصار النكت للماوردي]، ج1، ص1233.

[4]– بن عبد السلام "نبذة من مقاصد الكتاب العزيز"، ص21.

القول الثاني: رأى رأي ابن تيمية حيث علق على رأيه البدوي في قوله: "قررأن تفصيل القول في حكمة الله في خلقه و أمره يعجز عن معرفته البشر، وربما يكون ذلك ضارا بالبعض ممن صعف عقله ودينه، ونافعا للبعض الآخر".

أما الذين يرون ضرورة معرفة العامّي للمقاصد ذكروا فيما تتجلى.

- وتتجلى أهمية المقاصد بالنسبة للعامة فيما يلي:

❖ ترسيخ العقيدة: ليزداد إيمانا مع إيمانه فيسعى جاهدا للإلتزام بأحكام الشريعة، كما يزداد تمسكا وثباتا وفخرا بدينه وحبا لربه ودفاعا عن ذلك كله، دون مشقة ولاحرج.

❖ تحقيق العبودية: وذلك بكون العبادة عن قاعة وعلم بمقاصدها.

❖ الوقوف في وجه الغزو الفكري والعقدي: حتى تكون لدى المسلم مناعة كافية وقناعة عميقة على هذا الدين ولا يتحول عن مبادئ الإسلام إلى غيرها من التيارات المستوردة.

❖ الأمور بمقاصدها: يجب أن تكون مقاصد المكلفين موافقة لمقاصد الشرع الحكيم، وليتجنب التحايل عليها والهروب منها لما سيعود عليه من نتائج وخيمة.

❖ المسلم الداعية: طبيعة البشر تحب ما ينفعها، وبهذا لما يكشف الداعي للناس المقاصد يزيدهم اقتناعا بالدين، وتبرز أهمية المقاصد للداعية في ترتيبه للأولويات.

- هذا باختصار ما يهم العامّي من معرفة المقاصد، وماذا عن المجتهد، هذا الذي سنتعرف عليه فيما يلي:

2. أهمية المقاصد بالنسبة للمجتهد: يعتبر الأصوليون علم مقاصد الشريعة أهم ما يجب على المجتهد اكتسابه، بل واشترط بعضهم لبلوغ درجة الاجتهاد فهم المقاصد، قال الشاطبي: "إنما تحصل درجة الاجتهاد لمن اتصف بوصفين: فهم مقاصد الشريعة على كمالها، والتمكن من الاستنباط بناءً على فهمه فيها"[1] .

- وفيما يلي عرض المجالات التي يحتاج فيها المجتهد إلى علم المقاصد:

✓ فهم مدلولات الألفاظ الواردة في النصوص: واحتياج المجتهد في هذا المجال للمقاصد يكمن في تأكده من دلالة الألفاظ والإستعمال الشرعي.

[1]- الشاطبي "الموافقات"، ج5، ص41.

✓ البحث عما يعارض الأدلة التي لاحت له: لأن باعث اهتدائه إلى البحث عن المعارض والتنقيب عن ذلك المعارض في مظانه، يقوى ويضعف حسب ما ينقدح في نفسه وقت النظر في الدليل بين يديه من أن ذلك الدليل غير مناسب لأن يكون مقصودا للشارع.

✓ الوقائع التي لم ينص عليها: سواء في القياس فيستعين بالمقاصد على استنباط العلل وإلا بترتيب ومراعاة الضرورية ثم الحاجية ثم التحسينية، ما يسمى "فقه الواقع وتحقيق المناط".

✓ الأحكام التعبدية: لأنه بمقدار ما يتحصل عليه من المقاصد الشرعية مما حصل في علمه، يقل بين يديه أمام العلل التعبد ية التي هي مظهر حيرة.

الفرع الثالث: أقسام المقاصد.

اتخذ الأصوليون والمقاصديون لتقسيم المقاصد عدة تقسيمات، منها:

التقسيم الرباعي[1]: من حيث قوة التأثير. من حيث الإعتبار.

من حيث الشمول. عند الأصوليين من حيث الجزم بها.

والثماني[2]: باعتبار محل صدورها ومنشأها. باعتبار وقتها وزمن حصولها

باعتبار مدى الحاجة إليها وقوتها وتأثيرها. باعتبار تعلقها بعموم التشريع وخصوصه.

باعتبار القطع والظن. باعتبار تعلقها بعموم الأمة وأفرادها.

باعتبار أصليتها وتبعيتها. باعتبار حظ المكلف وعدمه.

---

[1]- د. احميدان "مقاصد الشريعة الإسلامية"، ص79. د. العالم "المقاصد العامة للشريعة الإسلامية" ص149.

[2]- البدوي "مقاصد الشريعة عند ابن تيمية". ص123.

والثلاثي[1]: الذي اخترناه وهو تقسيم الشيخ الطاهر ابن عاشور:

1. باعتبار ءاثارها في قوام الأمة: وهذه المقاصد لاتعدوا ثلاثة أقسام: "ضرورية.. وحاجية... وتحسينية"[2]. قال الشيخ الطاهر ابن عاشور: "ولقد تتبع العلماء تصاريف الشريعة في أحكامها فوجدوها دائرة حول هذه الأنواع الثلاثة. ووجدوها لاتكاد تفيت شيئا منها ما وجدت السبيل إلى تحصيله، حيث لا يعاضه معارضٌ من جلب مصلحة أعظم أو درء مفسدة كبرى[3]. إلا أن جمال الدين عطية زاد صنفان ءاخران إلى هذه الثلاث فسماهما "مادون الضروري، وما وراء التحسيني" فقال: (ولكن الذي أضيفه هو أنّ الحالة التي لايتحقق فيها مواصفات الضروري وكذلك الحالة التي يزيد فيها الإسراف عن حد التحسيني كلاهما بحاجة إلى دراسة، لوضعها موضع الإعتبار ، وترتيب ما يلزم من الأحكام بشأنهما بل ولإعطائهما الأولوية في الإزالة باعتبار أنهما حالتان غير مشروعتين).[4] وقال بأن هناك عبارة للسيوطي يفهم منها هذا التقسيم الخماسي وهي: "(**فائدة**) قال بعضهم المراتب خمس: ضرورة، وحاجة، ومنفعة، وزينة، وفضول. أما الضرورة فيقابلها مادون الضروري، والحاجة يقابلها الضروري، والمنفعة يقابلها الحاجي، والزينة يقابلها التحسيني، والفضول يقابله ما وراء التحسيني"[5].

*وضرب بعض الأمثلة:

✓ في الغداء في مجال حفظ النفس يقع دون مرتبةالضرورات ملايين الضحايا الذين يموتون سنويا نتيجة المجاعات وسوء التغذية.

ويقابل ذلك في مرتبة ما وراء التحسينات ملايين تعيش حياة الترف والإسراف والتخمة سواء في الغداء أو الكساء أو المسكن.

---

[1]- ابن عاشور "مقاصد الشريعة الإسلامية"، (ص86).

[2]- الشاطبي "الموافقات"، ج2، ص17. وأول من قسم المصالح على هذا التقسيم هو: الجويني "البرهان في أصول الفقه"

[3]- ابن عاشور "مقاصد الشريعة الإسلامية"، (ص92).

[4]- د. عطية "نحو تفعيل مقاصد الشريعة"، (ص56).

[5]- د. عطية، المرجع السابق نقلا عن السيوطي "الأشباه والنظائر"

✓ في مجال حفظ الدين يقع دون مرتبة الضرورات أكثر الناس ممن لايؤمنون بدين، بل وممن يؤمنون إيمانا نظريا لا يمارسون معه أي عبادات.

ويقابل هذا في مرتبة ما وراء التحسيني المغالون والمتنطعون والمنقطعون عن الحياة ظنا منهم أن هذا هو المطلوب منهم تقربا إلى الله.

ومدركه باختصار ما يلي[1]:

- أنها تعدٍّ لحدود الله ينبغي أن تحظى أولوية الإهتمام لإزالتها من واقع الحياة.
- وتعيين منطقة ما دون الضروري يحتاج إلى بيان الحد الأدنى للضروري، كما أن تحديد منطقة ما وراء التحسيني يحتاج إلى بيان الحد الأقصى للتحيسني.
- أن ما يبدّد في مرتبة الإسراف كفيل بأن يسد به مرتبة التقصير.
- بيان دور الدولة في مراعاة حدي التقصير والإسراف.
- أن الزهاد يكتفون بحد الضرورة (إن لبدنك عليك حق).

ولعل المراتب ثلاث، وقد شملت الخمس، فلما قيل الضروري عُنِيَ فيه حدوده بلا تفريط ولا إفراط، وكذلك الأمر بالنسبة لمرتبة التحسيني.

الضروريات: وهي: حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال، والعرض عند من زاده في الضروريات، وهي التي جاء حفظها في كل ملة.

أ) تعريف الضروري:

لغة: "الضرّ ضدّ النّفع، قال الله تعالى: ﴿**وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ**﴾ [الزمر:8] المقصود بكلمة الضرّ :جميع المكاره في الجسم.الضرورة: وضرورة أي ذو حاجة. وقد اضطرّ إلى الشيء أي ألجئ إليه، قال عزّوجل: ﴿**إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ**

[1] – د. عطية، "المرجع السابق"(ص56).

غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:173] وتفسير كلمة: «اضطر» حصول مطلق الضرورة بشغب أو إكراه، سواء حصل الاضطرار في سفر أو حضر"[1]

اصطلاحا: "هي التي لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة والنَّعيم، والرجوع بالخسران المبين"[2].

قال في المراقي: "فحفظها حتم على الإنسان في كل شرعة من الأديان"[3]

قال الله تعالى: ﴿**قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِٱلْوٰلِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلَـٰدَكُمْ مِّنْ إِمْلَـٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ ٱلْفَوٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلاَّ بِٱلْحَقّ ذٰلِكُمْ وَصَّـٰكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلاَّ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لاَ نُكَلّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾** [الأنعام :151-152].

ففي هذه الآيات تظهر العناية بحفظ هذه الضرورات ظهورا جليا واضحا.

فجاء في حفظ الدين "أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً"، وفي حفظ النفس قوله تعالى: "وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلَدَكُمْ مّنْ إِمْلَقٍ"، وقوله تعالى: "وَلاَ تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلاَّ بِٱلْحَقّ"، وفي حفظ النسل قوله: "وَلاَ تَقْرَبُواْ ٱلْفَوٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ"، ومن أعظم الفواحش الزنا، وفي حفظ المال قوله:" وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلاَّ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ"، وقوله: "وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ"، وأما حفظ العقل فإن الذي يفسد عقله لا يمكن أن يقوم بحفظ تلك الضرورات كما أمر الله، ولعل في ختام الآية الأولى: " ذٰلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ" ما يدل على ذلك.

---

[1] – أبي حيّان الاندلسي "تفسير البحر المحيط"، ج1، ص 665.

[2] – الشاطبي "الموافقات"، ج2، ص17.

[3] – محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي "نثر الورود على مراقي السعود" (ج2).

وأما في الحديث النبوي فقد اجتمعت هذه الضروريات في قوله ﷺ: «**مَن قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَن قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَن قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، مَن قُتِلَ دُونَ أَهلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ**»[1].

وإذا استقرأنا الفكر المقاصدي وجدنا أن المصالح الضرورية هي التي اجتمعت فيها الأوصاف التالية: وهي أن تكون **ضرورية قطعية كلية مطلقة عامة دائمة ثابتة ظاهرة منضبطة مطردة**. ومتى فقدت هذه القيود العشرة أو بعضها لم تعتبر من المصالح الضرورية[2].

ب) مسألة حصر الضروريات في خمسة:

إن أشهر ما زيد في الكليات الخمس الضرورية هو حفظ الأعراض وحفظ الأنساب، وغير هذه قليل.

الأعراض: إتفق الأصوليين أجمعين على حرمة انتهاك الأعراض وأهميتها والدفاع عنها وحفظها بما هو أنفس وأغلى وإنما اختلفوا على عدّها من الضّروريات.

ذهب القرافي والسبكي إلى إضافته مقصدا سادسا في الضروري، ودافع بقوة عن هذا القول الشوكاني، فقال: "فإن عادة العقلاء بذل نفوسهم وأموالهم دون أعراضهم وفدي بالضروري فهو بالضروري أولى،... لأن الإنسان قد يتجوز عمن جنى على نفسه أو ماله، ولايكاد أحد يتجاوز عمن جنى على عرضه"[3].

فنقول: لو عمت البلوى بالقذف والسباب والشتيمة في الأعراض بين الناس، لم تكن ستفضي هذه البلوى العامة بالبشر جميعا إلى نهايتهم العامة، لاشك أن أقصى ما ستفضي إليه هذه البلوى هو سوء العلاقات الإجتماعية وتفككها.

وهذا ما انتهى إليه الشيخ الطاهر ابن عاشور والأستاذ الرّيسوني.

---

[1]- رواه أصحاب السنن وصححه الترميذي.

[2]- عبد النور بازا "مصالح الإنسان مقاربة مقاصدية"

[3]- الشوكاني "إرشاد الفحول"

الأنساب: لاخلاف في وجوب الإعتناء بالأنساب والمحافظة التامة عليها من الإختلاط والريب ومع ذلك لايمكن اعتبارها من الضروريات الخمس. إذ على فرض عموم البلوى باختلاط الأنساب، ما كانت هذه الأنساب لتهلك عن آخرها بسبب ذلك. وما أكثر هذه الحالات خاصة في المجتمعات الغربية.

قال ابن عاشور: "إذ ليس للأمة من ضرورة إلى معرفة أنّ زيدا هو ابن عمرو، وإنما ضرورتها في وجود أفراد النّوع وانتظام أمرهم..."[1].

وهذا جدول لترتيب وحصر الضروريات:

أسماء الأصوليين	الدين	النفس	العقل	النسل	المال	من زاد العرض
أبو حامد الغزالي	1	2	3	4	5	لم يذكره
الفخر الرازي	4 3	1 1	5 2	3 5	2 4	لم يذكره لم يذكره
السيف الآمدي ابن حاجب	1 1	2 2	3 4	4 3	5 5	لم يذكره لم يذكره
العز بن عبد السلام	لم يذكره	1	لم يذكره	2	3	4
شهاب الدين القرافي	2 لم يذكره	1 1	4 2	3 4	5 5	على الحكاية 3
البيضاوي	2	1	3	5	4	لم يذكره
نجم الدين الطوفي	1	ذكر النسب	2	3	5	4
ابن تيمية	5	1	4	لم يذكره	2	3
أبو اسحاق الشاطبي	1 1 1	2 2 2	5 3 4	3 4 3	4 5 5	لم يذكره لم يذكره لم يذكره

وقد زاد ءاخرون مقاصد أخرى لابد من مراعتها، إلا أنها بعض تحليلها نجدها بين ما يخدم الضروري من المقاصد وبين ما يندرج ضمن الحاجي والتحسيني، وهذه بعضها:

[1]- ابن عاشور "مقاصد الشريعة الإسلامية"، (ص90).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "مقاصد العبادات الظاهرة والباطنة من أنواع المعارف بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله، وأوال القلوب وأعمالها"، وهذا راجع لحفظ الدين من جانب الوجود.

وما أورده كذلك في كتابه: "اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم" فهو يذكر أن ما جاءت به الشريعة من مخالفة أهل الكتاب والأعاجم قاعدة عظيمة من قواعد الشريعة، وهذا أيضا راجع لحفظ الدين من جانب العدم.

خلاصة:

- وهل حفظ الأنساب وصون الأعراض إلا خادم لحفظ النسل؟ ولو أضفنا هذين الأخيرين لأضفنا: ضرورة الإيمان، وضرورة العبادة، وضرورة الكسب وضرورة الأكل، وغير ذلك مما يخدم الضروريات الخمس.
- ومما سبق من أن للأعراض والأنساب أهميتها وقيمتها، إلا أنها لاترقى إلى مرتبة الضروري وإنما تبقى في حدود مرتبة الحاجيات الخادمة للضروريات كما هو معلوم.
- ومجمل المقاصد التي أضافها علماؤنا المحدثون إلى المقاصد الخمسة لايخرج عن حفظ الفطرة والسماحة والنظام والمساواة والحرية والعدالة والكرامة والحق والأمن والوحدة والأخلاق والسلام والتعاون والتعارف. وهذا ما نجده عند ابن عاشور[1]، علال الفاسي[2]، طه عبد الرحمان، الريسوني، جمال الدين عطية[3]. وهذه المقاصد لاخلاف في أهميتها وقيمتها ولكن لا تعد من الضروريات الخمس.

الحاجيات: قال الشاطبي: "فمعناها أنها مفتقر إليها من حيث التوسعة ورفع الضيق، المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب، فلو لم يراع دخل على المكلفين على الجملة الحرج والمشقة ولكنه لا يبلغ مبلغ الفساد العادي المتوقع في المصالح العامة"[4]، ولا يبلغ مبلغ الضروري. ويظهر أن معظم

[1]-مقاصد الشريعة الإسلامية

[2]- مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها

[3]- نحو تفعيل مقاصد الشريعة

[4]- الشاطبي "الموافقات"، ج2، ص21.

قسم المباح في المعاملات راجع إلى الحاجي. والنكاح السرعي من قبيل الحاجي. وحفظ الأنساب – بمعنى إلحاق الأولاد بآبائهم- من الحاجي للأولاد وللآباء، فللأولاد للقيام عليهم فيما يحتاجون ولتربيتهم النافعة لهم، وللآباء لاعتزاز العشيرة وحفظ العائلة.

"وحفظ الأعراض هو من الحاجي، لينكف الناس عن الأذى بأسهل وسائله وهو الكلام. ومن الحاجي ما هو تكملة للضروري كسدِّ بعض ذرائع الفساد وكإقامة القضاء والوزعة والشرطة لتنفيذ الشريعة.

ومن الحاجي ما يدخل في الكليات الخمسة المتقدمة إلا أنه ليس بالغًا حدَّ الضرورة، كما أشرنا إليه فيما مضى من الأمثلة، فبعض أحكام النكاح ليست من الضروري، ولكنها من الحاجي، مثل: اشتراط الولي والشهرة. وبعض أحكام البيوع ليست من الضروري، مثل: بيع الآجال المحظورة لأجل سد الذرائعة، ومثل تحريم الربا وأخذ الأجر من الضمان وعلى بذل الشفاعة، فإن كثيرا من تلك الأحكام تكملة لحفظ المال وليست داخلة في أصل حفظ المال.

وعناية الشريعة بالحاجي تقرب من عنايتها بالضروري، ولذلك رتبت الحدَّ على تفويت بعض أنواعه كحد القذف. وفيما دونه مجال للمجتهدين، فلذلك نراهم مختلفين في حد الشرب لقليل من المسكر وفي تحريم نكاح المتعة"[1].

التحسينيات: قال ابن عاشور: "هي عندي ما كان بها كمال حال الأمة في نظامها حتى تعيش آمنة مطمئنة ولها بهجة منظر المجتمع في مرأى بقية الأمم، حتى تكون الأمة الإسلامية مرغوبا في الإندماج فيها أو في التقرب منها، فإن لمحاسن العادات مدخلا في ذلك سواءٌ كانت عاداتٍ عامة كستر العورة، أم خاصةببعض الأمم كخصال الفطرة وإعفاء اللحية. والحاصل أنها مما تراعى فيها المدارك الراقية البشرية. قال الغزالي: (هي التي تقع موقع التحسين والتيسير للمزايا ورعاية أحسن المناهج في العادات والمعاملات، مثاله: سلب العبد أهليةَ الشهادة مع قبول فتواه وروايته، لأن العبد ضعيف المترلة باستسخار الملكِ إيّاه، فلا يليق بمنصبه التصدِّي للشهادة).

[1]- انظر ابن عاشور "مقاصد الشريعة الإسلامية"، (ص91).

ومن التحسيني سد ذرائع الفساد، فهو أحسن من انتظار التورط فيه"[1].

2. باعتبار تعلقها بعموم الأمة أو جماعتها أو أفرادها: فتنقسم بهذا الإعتبار إلى: كلية، وجزئية.

ويراد بالكلية في اصطلاحهم: ما كان عائدا على عموم الأمة عودا متماثلا، وما كان عائدا على جماعة عظيمة من الأمة أو القطر. وبالجزئية ما عدا ذلك.

فالمصلحة العامة لجميع الأمة قليلة الأمثلة وهي مثل: حماية البيضة، وحفظ الجماعة من التفرق، وحفظ الدين من الزوال، وحماية الحرمين من أن يقعا في أيدي غير المسلمين، وحفظ القرآن من التلاشي العام أو التغير العام بانقضاء حُفَّاضه وتلف مصاحفه معا، وحفظ علم السنة من دخول الموضوعات، ونحو ذلك مما صلاحه وفساده يتناول جميع الأمة وكل فرد منها، وبعض صور الضروري والحاجي مما يتعلق بجميع الأمة.

وأما المصلحة والمفسدة اللتان تعودان على الجماعات العظيمة فهي الضروريات والحاجيات والتحسينيات المتعلقة بالأمصار والقبائل والأقطار على حسب مبلغ حاجاتها، مثل التشريعات القضائية لفصل النوازل، والعهود المنعقدة بين أمراء المسلمين وبين الأمم المخالفة في تأمين تجار المسلمين بأقطار غيرهم إذا دخلوها للتجارة، وتأمين البحار التي تحت سلطة غير المسلمين لتمكين المسلمين من مخرها آمنين إذا مروات بأسمات شطوط غير المسلمين، والعقود المنعقدة مع تجار غير المسلمين دخلوا إلى مراسي الإسلام على عشر أثمان ما يبيعونه ببلاد الإسلام من السلع والطعام أو على نصف العشر إذا جلبوا الطعام إلى الحرمين خاصةً.

والمصلحة الجزئية الخاصة: هي مصلحة الفرد أو الأفراد القليلة، وهي أنواع ومراتب وقد تكفلت بحفظها أحكام الشريعة في المعاملات[2].

3. باعتبار تحقق الإحتياج إليها في قوام أمر الأمة أو الأفراد: تنقسم إلى "قطعية، وظنية، ووهمية".

---

[1]- انظر ابن عاشور "نفس المرجع" (ص92).

[2]- انظر ابن عاشور "نفس المرجع" (ص94).

أ) **القطعية:** هي التي دلت عليها أدلة من قبيل النص الذي لا يحتمل تأويلا، نحو: "وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا" [ءال عمران.97.] وما تظافرت الأدلة الكثيرة عليها مما مستنده استقراء الشريعة، مثل الكليات الضرورية المتقدمة، أو ما دل العقل على أنّ في تحصيله صلاحا عظيما أو في حصول ضدِّه ضرٌّ عظيم على الأمة، مثل قتال مانعي الزكاة في زمن أبي بكر الصديق – رضي الله تعالى عنه– في الضروري.

ب) **الظنية:** فمنها ما اقتضى العقل ظنه، مثل اتخاذ كلاب الحراسة في الدور في الحضر في زمن الخوف في القيروان. كان الشيخ أبو محمد أبي زيد اتخذ كلبا بداره فقيل له إن ماكا كره اتخاذ الكلب في الحضر، فقال، لو أدرك مالك مثل هذا الزمن لاتخذ أسدا على باب داره. أو دل عليه دليل ظني من الشرع، مثل حديث: "لا يحكم أحد بين اثنين وهو غضبان"[1].

ت) **الوهمية:** فهي التي يتخيل فيها صلاح وخيرٌ وهو عند التأمل ضرٌّ، إمَّا لخفاء ضره، مثل تناول المخدرات من الأفيون والحشيشة والكوكايين والهروين، فإن الحاصل بها لمتناوليها ملائم لنفوسهم وليس هو بصلاح لهم، وإما لكون الصلاح مغمورا بفساد كما أنبأنا عنه قوله تعالى: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا" [البقرة:219][2].

المطلب الثاني: مقصد حفظ الدين.

الذي هو أهم الكليات الخمس وأولاها حفظا ومراعاتا كما سبق ذكره في المبحث السابق.

الفرع الأول: تعريف حفظ الدين.

الحفظ لغة: كلمة الحفظ تأتي في اللغة بمعان متعددة منها:

- الحفيظ: من صفات الله عزّوجل، حفظ السّماوات والأرض بقدرته، ﴿**وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ** ﴾ [البقرة:255]،

---

[1]– مسلم "صحيح مسلم" كتاب الأقضية. باب كراهة قضاء القاضي وهو غضبان.رقم(1717).

[2]– انظر ابن عاشور "نفس المرجع" (ص96).

أي لايشغله حفظ السّماوات عن حفظ الأرضين، ولا حفظ الأرضين عن حفظ السموات. والهاء تعود إلى الله تعالى[1].

- المحافظة: المواظبة على الصلوات، قال تعالى: ﴿**حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ**﴾ [البقرة:238]، أي المحافظة عليها هي المحافظة على أوقاتها من أن تؤخر عنها والمحافظة تؤذن بأنّ المتعلّق بها حقّ عظيم يُخشى التفريط فيه[2].

الحفظ اصطلاحا: لم نجد تعريفا اصطلاحيا لكلمة **حفظ** لأحد من العلماء المتقدمون ولا المتأخرون، وهذا لعدم وجود فارق بين التعريف اللغوي والإصطلاحي لهذه الكلمة. إلا ما استنبطه أحد طلبة الماستر في رسالته، وهذا التعريف كالتالي: "هي حركة اصلاحية يقوم بها المكلف بتحقيق مقاصد الشريعة في الأرض وتحقيق الخلافة وفق قصد الله عز وجل"[3].

الدين لغة: له معان كثيرة نذكر منها اثنين، هما أقرب إلى المعنى الاصطلاحي[4]:

✓ الجزاء والمكفأة: دنته دينا.جزيته. مثال يوم الدّين: يوم الجزاء، وقوله تعالى: ﴿**أَئِنَّا لَمَدِينُونَ**﴾ [الصافات:53]، قال ابن عبّاس: «أي مجزيّون، ومحاسبون»[5].

✓ الطاعة: قال تعالى: ﴿**وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقّ**﴾ [التوبة:29]، قال أبو عبيدة: لايطيعون طاعة أهل الإسلام[6].

---

[1] – تفسير البحر المحيط، ج 2، ص 290.

[2] – الإمام محمد الطّاهر بن عاشور "تفسير التحرير والتنوير"، ج1، ص 467.

[3] – يوسف دودو "مقصد حفظ الأمة عند المالكية"، ص10.

[4] – ابن منظور "لسان العرب"، ج(7)، ص 759-760-761.

[5] – تفسير البحر المحيط، ج7، ص 345.

[6] – تفسير البحر المحيط، ج5 ص30.

الدين اصطلاحا: كل ما شرعه الله لعباده على لسان أنبيائه من قوانين لتنظيم علاقاتهم بالله، وتدبير شؤونهم، وسياسة أمورهم الخاصة والعامة، طاعة لقضائه، وعملا بشريعته، وامتثالا لحكمه، وخضوعا لسلطانه طوعًا أو كرهًا، كما يفيده قوله تعالى: "**أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ * قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**" [آل عمران: 83-85][1].

العلاقة بين التعريف اللغوي والشرعي:

"معنى الخضوع والطاعة يتفق مع المعنى الشرعي، إلا أن المعنى الشرعي أضيق نطاقا من المعنى اللغوي، لأن الخضوع في اللغة قد يكون لله وقد يكون لغيره ...، فكل هذه الأنواع يطلق عليها كلمة الخضوع، أما معنى الدين في الشرع فلا يطلق إلا لله وحده. ثم إن الخضوع في اللغة يشمل الخضوع الظاهري بسبب القهر والسلطان والخضوع الباطني، وأما الخضوع لله فلا بد فيه من الباطن والظاهر....، فهذه كلها ضروب من الخضوع الطبيعي، منها ما هو آلي لاشعوري، ومنها ما هو شعوري اضطراري، أما المتدين فخضوعه شعوري اختياري معا، وهو حين يخشع لمعبوده ويسجد لعظمته يفعل ذلك عن طواعية لا عن كراهية. وبهذا نعلم أن المعنى اللغوي يشمل جميع أنواع الخضوع إذا جاء ذلك في صورة التدين، وأما المعنى الشرعي فلا بد فيه من الخضوع لله وحده عن طريق ما أنزله من أحكام يتعبد بها ويهتدي بها في تنفيذ الطاعة"[2].

[1]- عبد النور بزا "مصالح الإنسان مقاربة مقاصدية"، (ص225).

[2]- د. العالم "المقاصد العامة للشريعة الإسلامية" ص207.

تعريف حفظ الدين: معناه هو حفظ دين كل أحد من المسلمين من كل ما يفسد اعتقاده وعمله وحفظ دين عموم الأمة برفع كل ما من شأنه انتقاض أصول الدين القطعية، وتقوم وسائل الحفظ على إبقاء طرق تلقي الدين من الأمة حاضرها وءاتيها[1].

الفرع الثاني: أهمية الدين وحفظه.

قال شيخ المقاصد، الشاطبي رحمه الله: "فلو عدم الدين، عدم ترتب الجزاء المرتجى"[2]، والحق أن انعدام الدين لا يترتب عنه عدم الجزاء المرتجى فقط، بل يترتب عن فناء الدنيا، لأن القصد الأعظم من خلق الخلق، عبادة الله كما قال عز وجل: "**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**" [الذاريات.56.]، فإذا انتفى القصد الإلهي من الخلق، فلا حاجة إلى بقائه. وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "**لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله**"، وفي رواية: "**لا تقوم الساعة على أحد يقول الله الله**"[3].

وفي هذا يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله: "والرسالة ضرورية في إصلاح العبد في معاشه ومعاده، فكما أنه لا صلاح له في آخرته إلا باتباع الرسالة، فكذلك لا صلاح له في معاشه ودنياه إلا باتباع الرسالة؛ فإن الإنسان مضطر إلى الشرع، فإنه بين حركتين: حركة يجلب بها ما ينفعه، وحركة يدفع بها ما يضره. والشرع هو النور الذي يبين ما ينفعه وما يضره، والشرع نور الله في أرضه وعدله بين عباده، وحِصْنه الذي من دخله كان آمنًا.

ولولا الرسالة لم يهتد العقل إلى تفاصيل النافع والضار في المعاش والمعاد، فمن أعظم نعم الله على عباده وأشرف مِنَّةٍ عليهم أن أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، وبَين لهم الصراط المستقيم. ولولا ذلك لكانوا بمنزلة الأنعام والبهائم، بل أشر حالاً منها، فمن قبل رسالة الله واستقام عليها فهو من خير البرية، ومن ردها وخرج عنها فهو من شر البرية، وأَسْوَأ حالاً من الكلب والخنزير والحيوان البهيم.

---

[1]- د. اسماعيل الحسني "مقاصد الشريعة عند الطاهر بن عاشور"، (ص238).

[2]- الشاطبي "الموافقات"، ج2، ص32.

[3]- رواهما أحمد في مسنده، (مسند أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه).

وفي الصحيح من حديث أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "**مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غَيْثٍ أصاب أرضا، فكانت منها طائفة قَبِلَت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجَادِب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس، فشربوا منها وانتفعوا وزرعوا، وأصاب طائفة منها أخري إنما هي قِيعَان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله تعالى ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به**" متفق على صحته.

والدنيا كلها ملعونة ملعون ما فيها إلا ما أشرقت عليه شمس الرسالة وأسس بنيانه عليها، ولا بقاء لأهل الأرض إلا ما دامت آثار الرسل موجودة فيهم، فإذا دَرَسَتْ آثار الرسل من الأرض وانمحت بالكلية خَرَّبَ الله العالم العلوي والسفلي وأقام القيامة"[1].

"وعليه فإن كل الذين يحاربون شرع الله، ويعملون على تضييع مكارم الأخلاق، ويقتلون الذين يأمرون بالمعروف من الناس، ويسعون في الأرض فسادا، إنما يسعون بقبيح أعمالهم هذه في تسريع فناء لعالم، وقيام الساعة، وهم لا يعلمون. وبهذا يرفع الإشكال، ويبقى الدين في أعلى المراتب الضرورية، كما هو مقرر بالكتاب والسنة والإجماع"[2].

وكل خير وجد في هذه الدنيا بوجود الدين وكل شر وجد بغياب الدين، قال ابن القيم: "الشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه.. وكل خير في الوجود فإنما هو مستفاد منها وحاصل بها، وكل نقص في الوجود فسببه من إضاعتها"[3]. وهو ما يقتضي مضاعفة الجهود وبذل كل ما في الوسع لاسترجاع الوعي الحضاري بضرورتها، والعمل في إقامتها في كل المجالات، وفي جميع الميادين، وعلى كافة المستويات، بمختلف الوسائل الشرعية الممكنة، حتى يضمن لها لبقاء من جانب الوجود، وتتيسر لها الحماية من الضياع والتعرض للفساد من جانب العدم، وذلك بدءا من تعليم الجاهلين، وتنبيه الغافلين،

---

[1]- ابن تيمية "مجموع الفتاوى" ج19. ص99-101.

[2]- عبد النور بزا "مصالح الإنسان"، ص230.

[3]- ابن قيم "أعلام الموقعين" ج3، ص14-15.

ومرورا بتأنيب المتهاونين، ومعاقبة المجاهرين من العاصين والمبتدعين والمرتدين، وانتهاءا بمجاهدة المحاربين وردع الباغين، ومقاومة جميع المعتدين[1].

وهذا هو الأصل الذي قامت عليه حياة الأمة في جميع مناحيها منذ العهد النبوي والخلافة الراشدة، وهو المطلوب الشرعي من أمة الإسلام اليوم. إذ لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وما لم يكن يومئذ دينا فلا يكون اليوم دينا، كما قال الإمام مالك رحمه الله"[2].

الفرع الثالث: مرتبة حفظ الدين في الكليات الخمس.

إن الأصوليين الذين سنبين أراءهم في ترتيب الكليات لم يبرر أحدهم الترتيب الذي رءاه إلا القليل منهم، وسنعرض تبريراتهم، وفي المسألة قولان:

الأول: تقديم حفظ الدين على غيره من الضروريات.

ذهب بهذا القول جمهور الأصوليون منهم:

الغزالي: "ومقصود الشرع من الخلق خمسة: وهو أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم"[3].

الآمدي: " فهو راجع إلى المقاصد الخمسة... وهي: حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال"[4].

---

[1]- عبد النور بزا "مصالح الإنسان"، ص232.

[2]- الشاطبي "الإعتصام".

[3]- الغزالي "المستصفى" ج2، ص482.

[4]- الآمدي "الإحكام"، ج3، ص343.

الإسنوي: "هي التي تكون من إحدى الضروريات الخمس وهي حفظ الدين والنفس والعقل والمال والنسب"[1].

الشاطبي: "والمقاصد الضرورية، أو المصالح الضرورية ثبت بالإستقراء أنها خمسة هي: حفظ الدين، حفظ النفس، وحفظ النسل، وحفظ المال، وحفظ العقل"[2].

البدخشي: "فيرجح القياس الثابت عليه وصفه بها على ما ثبت بالمناسبة الضرورية الدنيوية لرجحان أمور الدين على أمور الدنيا، وهي الضرورات الأربع الباقية، أي مصلحة النفس والنسب والعقل والمال[3].

ابن عاشور: "وقد مثل الغزالي في المستصفى وابن الحاجب والقرافي والشاطبي هذا القسم الضروري بحفظ الدين والنفوس والعقول والأموال والأنساب".[4]

د. الريسوني: "والأقرب إلى المنطق ما ذهب إليه الآمدي"[5].

ابن النجار: "... ويتنوع إلى خمسة أنواع، وهي التي روعيت في كل ملة، وهي: حفظ الدين، فحفظ النفس، فحفظ العقل، فحفظ النسل، فحفظ المال، وحفظ العرض"[6].

المرداوي: "وإذا تعارضت بعض الخمس الضرورية، قدمت الدينية على الأربع الأخر"[1].

---

[1]- الإسنوي "نهاية السول في شرح منهاج الوصول"، ج4، ص388.

[2]- الشاطبي "الموافقات"، ج2، ص20.

[3]- البدخشي "شرح البدخشي"، ج3، ص251.

[4]- ابن عاشور "مقاصد الشريعة الإسلامية"، ص87.

[5]- أحمد الريسوني "نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي"، ص61.

[6]- ابن النجار "شرح الكوكب المنير"، ج4، ص159.

الثاني: تأخير حفظ الدين عن سائر الضروريات أو بعضها.

الرازي: " تتضمن حفظ مقصود من المقاصد الخمسة، وهي حفظ النفس، والمال، والنسب، والدين، والعقل"[2].

القرافي: "النفوس، والأديان، والأنساب، والعقول، والأموال، وقيل الأعراض"[3].

البيضاوي: "وهو حقيقي دنيوي ضروري كحفظ النفس بالقصاص والدين بالقتال والعقل بالزجر عن المسكرات والمال بالضمان والنسب بالحد على الزنا"[4].

ابن تيمية: "حفظ النفوس والأموال والأعراض والعقول والأديان"[5].

الزركشي: " النفس والمال والنسل والدين والعقل.. وقد زاد بعض المتأخرين سادسا وهو حفظ الأعراض.

الخلاصة: مجمل ما استدل به مؤخروا مصلحة حفظ الدين على باقي المصالح الضرورية، هو:

- حق الآدمي مرجح على حق الله تعالى، لأن الآدمي يتضرر بفوات حقه، أما الله لايتضرر بفوات حقه[6]

---

[1]- المرداوي "التحبير شرح التحرير"، ج8، ص4249.

[2]- الرازي "المحصول"، ج5،ص160.

[3]- القرافي "شرح تنقيح الفصول".

[4]- الإسنوي " نهاية السول في شرح منهاج الوصول للبيضاوي"، ج4، ص75.

[5]- ابن تيمية "الفتاوى الكبرى"، 343/1.

[6]- الآمدي "الإحكام" – البدخشي "شرح البدخشي"

- ولأن حقوق الآدمي مبنية على الشح والمضايقة، أما حقوق الله تعالى مبنية على المسامحة والمساهلة.
- إذا كان قد كفر وقتل عمدا وعدوانا، فإنا نقتله قصاصا بكفره.
- وأيضا فإنا قد رجحنا مصلحة النفس على مصلحة الدين، حيث خففنا عن المسافر بإسقاط الركعتين، وأداء الصوم، وعن المريض بترك الصلاة قائما وترك أداء الصوم، وقدمنا مصلحة النفس على مصلحة الصلاة في صورة إنجاء الغريق. ورجحنا مصلحة المال على مصلحة الدين، حيث جوزنا ترك الجمعة والجماعة، ضرورة حفظ أدنى شيء من المال. ورجحنا مصالح المسلمين المتعلقة ببقاء الذمي بين أظهرهم على مصلحة الدين، حتى عصمنا دمه وماله مع وجود الكفر المبيح[1].
- الإكراه مبيحا لكلمة الردة، وشرب الخمر وأكل مال الغير، وترك الصوم والصلاة لأن الحذر من سفك الدم أشد من هذه الأمور[2].
- إن الكفر القولي والفعلي يباحان بالإكراه مع طأنينة القلب بالإيمان (أما كفر القلب فلا يتصور الإكراه فيه)، وأن واجبات دينية أخرى كالصلاة والصيام والزكاة والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها يجب تركها بالإكراه بالقتل وأنه إذا علم الغازي أنه يقتل من غير نكاية في الكفار وجب الانهزام[3].

القول المبين لتقديم حفظ الدين: وأحسن من ردّ على المخالفين هو الآمدي، فقال:

"أن يكون مقصود إحدى العلتين حفظ أصل الدين، ومقصود الأخرى ما سواه من المقاصد الضرورية، فما مقصود حفظ أصل الدين يكون أولى، نظر إلى مقصوده وثمرته، من نيل السعادة الأبدية في جوار ربِّ العالمين، وما سواه من حفظ الأنفس والعقل والمال وغيره، فإنما كان مقصودا من أجله، على ما قاله تعالى: "**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**" [الذاريات:56].

---

[1]- المراجع السابقة.

[2]- الغزالي "المستصفى" ج1، ص482.

[3]- العز بن عبد السلام "الفوائد"

أما النفس فكما هي متعلق حق الآدمي بالنظر إلى بعض الأحكام، فهي متعلق حق الله تعالى بالنظر إلى أحكام أخر، ولهذا يحرم عليه قتل نفسه والتصرف بما يفضي إلى تفويتها، فالتقديم إنما هو لمتعلق الحقين، ولايمتنع تقديم حق الله وحق الآدمي على ما تمحض حقا لله، كيف وأن مقصود الدين متحقق بأصل شرعية القتل، وقد تحقق، والقتل بالفعل إنما هو لتحقيق الوعيد به، والمقصود بالقصاص إنما هو التشفي والإنتقام، ولايحصل ذلك للوارث بشرع القتل، دون القتل بالفعل، على مايشهد به العرف، فكان الجمع بين الحقين أولى من تضييع أحدهما، كيف وأن تقديم حق الآدمي ههنا لايفضي إلى تفويت حق الله فيما يتعلق بالعقوبة البدنية مطلقا، لبقاء العقوبة الأخروية، وتقديم حق الله مما يفضي إلى تفويت حق الآدمي من العقوبة البدنية مطلقا، فكان لذلك أولى. وأما التخفيف عن المسافر والمريض فليس تقديما لمقصود النفس على مقصود أصل الدين، بل على فروعه، وفروع الشيء غير أصل الشيء، ثم وإن كان، فمشقة الركعتين في السفر تقوم مقام مشقة الأربع في الحضر، وكذلك صلاة المريض قاعدا بالنسبة إلى صلاته قائما وهو صحيح، فالمقصود لا يختلف، وأما أداء الصوم، فلأنه لايفوت مطلقا، بل يفوت إلى خلف، وهو القضاء، وبه يندفع ما ذكروا من صورة إنقاذ الغريق وترك الجمعة والجماعة لحفظ المال أيضا، وبقاء الذمي بين أظهر المسلمين معصوم الدم والمال ليس لمصلحة المسلمين، بل لأجل اطلاعه على محاسن الشريعة وقواعد الدين، ليسهل انقياده ويتيسر استرشاده، وذلك من مصلحة الدين، لا من مصلحة غيره، وكما أن مقصود الدين مقدم على غيره من مقاصد الضروريات، فكذلك ما يتعلق به من مقصود النفس يكون مقدما على غيره من المقاصد الضرورية"[1]

وقال الشيخ محمد البشير الحاج سالم: "أمره راجع إلى أصل الموازنة بين المصالح الضرورية الخمس، ومعلوم أنّ أعلاها مرتبة وأصلها جميعا هي مصلحة الدين وتليها مصلحة النفس"، والأُولى تتمثل أولويتها في كونها أصلا للوجود الإنساني كله، ومصلحة النفس من توابع مصلحة الدين، ...ومصلحة النفس تستمد قيمتها من نازع الفطرة الإنسانية، وهي نزعة حب البقاء وهي قوية، عادة ما تضعف مصلحة الدين ذاتها تجاهها في نظر المكلف، ولكن إذا كان إيمان المكلف قد بلغ من اليقين ما يهيأه للتنازل عن تلك الغريزة، تغليبا لمصلحة الدين، غإن ذلك محمود وأولى، ومحققا لأصل باقي الضروريات[2].

---

[1]- الآمدي "الإحكام"، ج4، ص338.

[2]- محمد البشير الحاج سالم "مفهوم مخالفة الأصل"، (ص384).

المبحث الثاني: وسائل حفظ الدّين.

أشار الشاطبي رحمه الله إلى وسائل حفظ الدّين على الإجمال فقال: "حفظ الدين حاصله في ثلاثة معان وهي: الإسلام، والإيمان، والإحسان، فاصلها في الكتاب وبيانها في السنّة، ومكمِّله ثلاثة أشياء وهي الدّعاء إليه بالترغيب والترهيب وجهاد من عانده أو رام إفساده، وتلافي النّقصان الطارئ في اصله، وأصل هذه في الكتاب وبيانها في السنة على الكمال»[1].

المطلب الأول: حفظ الدين من جانب الوجود.

لحفظ الدّين من جانب الوجود عدّة وسائل جمعناها في ثلاث، وهي:

الوسيلة الأولى: الإيمان بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر.

وهو في أعلى رتب ماشرعه الله للمحافظة على هذا الدّين وأفضلها. وهو التصديق بماجاء به الرّسول الكريم عليه الصلاة والسلام ممّا علم من الدّين بالضرورة أو ما أشبهها منَ الأدلّة اليقينية[2]، وبهذا المعنى أخبرنا الشيخ نورالدين السالمي في منظومته أنوار العقول وكشف الحقيقة قائلا:

إيماننا التصديق والإســـلام إذعاننا لما دعى من الأحكام

ولهما في الشرع معنى ملتزم تصديق قول عملا إذا لزم[3]

وقد فسّر النّبيُّ ﷺ الإيمان في الحديث الطويل الذي رواه أبوهريرة رضي الله عنه قال: كان النّبيّ ﷺ بارزا يوما للنّاس فأتاه رجل فقال: «**مالإيمان، قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وبلقائه، ورسله، وتؤمن**

---

[1] – الشاطبي "الموافقات" 27/4.

[2] – د.مصطفى سعيد الخن ، د.محيي الدّين "مستو العقيدة الإسلامية".

[3] – السّالمي "منظومتي أنوار العقول وكشف الحقيقة"، ص 13.

بالبعث»[1]، فالتصديق بالقلب والإقرار باللّسان يعتبر أصلا لأحكام الدّنيا والآخرة، أمّا الاعتراف باللّسان فقط فلايعتبر إلاّ في أحكام الدّنيا وحدها، والتصديق بالقلب لايتأثرُ بالإكْراه إيجابا أوسلْبًا، ولايجوز إسقاط الإيمان لأيّ عذر من إكراه أو غيره، وتبديله يوجب الكفر على كلّ حال[2]. ولكيْ يتوصلُ إلى الإيمان بالله جعل الله لنا طريقين لمعرفة حقائق الوجود، أولّها: العقل الذي خلقه فينا وجعله قوة نامية وبه يدرك حقائق العالم المحسوس، وثانيها: فقد جعله الله لإدْرَاك حقائق عالم الغيب، وما وراء عالم الشّهادة ممّا لايستطيع العقل وحده إدراكه لأنّه من طبيعة مختلفة عن طبيعته، ومقصد ذلك كلّه عدم ترك الإنسان جاهلا غافلا عمّا وراء هذا الكون. لأنّ وراء ذلك مسؤولية يتحمّلها الإنسان إذا بلغ وأقيمت عليه الحجّة، ومن هذا الطريق يكون وصل الإنسان بعالم الغيب، والكشف عن الحقائق الكبرى، وأهمّها الحقيقة الإلهية، وهذا الطريق، الوحي إلى الأنبياء والرّسل[3].

والإيمان بملائكة الله تعالى يكمن في وجودهم وأنّهم خلْق من أشرف خلقه، وعباد مكرمون من عباده، خلقهم من نور، كما خلق النّاس من صلْصال كالْفخّار، وخلق الجانّ من مارج من نار. وأنّه تعالى وكّلهم بوظائف فهم بها قائمون[4]، والأدلة كثيرة في القرآن الكريم تدل على وجودهم منها: قوله تعالى: "**وإذ قال ربّك للملائكة** ...» [البقرة:30].

وعلى المسلم أن يؤمن ايضا بكتب الله ورسله، المبلغين عنه شَرْعه ودينه، قال تعالى: «**وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ**» [النّساء:177] والإيمان برسله يكون بتيّقن المسلم أنّ الله تعالى قد اصطفى من النّاس رسُلاً وأوحى إليهم شرعه وعهد إليهم بإبلاغه لقطع حجّة

---

[1] – رواه البخاري ج1، ص 18، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النّبيّ ﷺ عن الإيمان.

[2] – أصول السرخسي 210/2.

[3] – يوسف العالم "المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، نقلا عن كتاب العقيدة والعبادة لمحمد المبارك عبد القادر" ،ص 228

[4] – أبوبكر الجزائري "منهاج المسلم"، ص 25.

النّاس عليه يوم القيامة، وأرسلهم بالبيّنات وأيّدهم بالمعجزات. ابتدأهم بنبيّه نوح وختمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم.[1]، قال تعالى: «**اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا**» [الحج:75].

وأن يؤمن باليوم الآخر وأنّ لهذه الحياة الدّنيا ساعة أخيرة تنتهي فيها كلّ البشرية ويأتي بعده يوم الحساب والجزاء. قال تعالى:«**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ**» [الرحمان:26]

وبعد الإيمان والتيّقن بهاته الأصول، يكون الإيمان والدين كاملين في قلب المسلم وبه يحفظ دينه.

الوسيلة الثانية: العمل والحكم بالدّين.

العمل بالدين:

إنّ هذا الدّينَ ماشرعه الله إلاّ ليعملَ به، لا لتحفظ ألفاظه فحسب، فالدّين اعتقاد وعمل، والثمرةُ المرجوةُ منه لا تتحقق إلاّ بالعمل به[2] ، "ويعتبر العمل بالدّين ضروري لإحيائه، وإعلاء شأنه، وأن ترك العمل به يقتضي موته في نفوس اتّباعه، وتنامي الجهل في نفوسهم، حتى يغدو غريبا في حياتهم»[3]، فالدّين من ناحية الاعتقاد، الذي هو أساس قبول العمل الصّالح الذي ثمرته العقيدة الصحيحة، والتي تقوم على الإيمان بالله تعالى، واتّباع الرّسول صلى الله عليه وسلم، وأمّا العمل بالجوارح، والذي يعبر عنه بالفروع، فهو شعار الدّين، وإقامتها إقامة للدّين، وأمور الدّين ليست على مستوى واحد، فهناك أركان الإسلام، التي يقوم عليها، يحقّق كلّ ركن منها مقصدا عظيما في حياة الإسلام[4]. ففي الحديث الشريف عن ابن

---

[1] – "نفس المصدر" ص 28 – 34.

[2] – د. اليوبي "مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقاتها بالأدلة الشرعيّة"، ص 195.

[3] – د. احميدان "مقاصد الشريعة الإسلامية" ص 91.

[4] – المرجع السابق – بتصرّف– ص 92/91

عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بني الإسلامُ على خمسٍ، شهادة أن لاإله إلاّالله، وأنّ مُحَمَّدًا رسولُ الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزّكاة، والحجّ، وصَوْمِ رَمَضَان»[1].

فالعمل بالدّين أمر متحتم لابدّ منه إذ هو مقصد خلق الإنسان وبيّنَ الله عزّ وعلا في تنزيله حين قال: **"وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ"** [الذاريات:56]، والعمل بالدّين ينقسم إلى قسمين فمنه ماهو واجب على كلّ مكلّف وهو المعروف عند الاصوليين "الواجب العيني"، ومنه ماهو واجب على الجميع ويسقط بفعل البعض وهو المعروف "الواجب الكفائي" والقدر المشترك في ذلك هو أنّه لابدّ من القيام بالواجب سواء كان القائم به واحدًا يكفي عن الأمّة، أو كلّ فرد من الأمّة فبالمحافظة على الواجبات يحفظ الدّين لأنّ هذه الواجبات دعائم الدّين وأركانه وأُسسه. فعلى هذا يكون حفظ الدّين واجبا على كلّ إنسان مكلّف كإيقام الصلاة وإيتاء الزكاة والصوم والحج وغير ذلك من فرائض الإسلام العينيّة. كما أنّه أوجب على الأمّة كلّها واجبات وذلك فيما فرضه الله عليها من فرائضه الكفائية[2]. فراحة المسلم تكمن في العمل بالدّين إذ به يكسب معيّة الله ويكون من هؤلاء الذين ذكرهم ربّنا عزّ وجل في كتابه العزيز: ﴿**وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**﴾ [النساء:69]

الحكم بالدّين.

الحكم بالدّين ضرورة من ضرورات حفظه، فلايمكن أن يكون الدّين محفوظا إذالم يكن هو الحاكم، ويعني الحكم به هو ان يؤدي غرضه في الارض، وأن يحكم تصرّفات البشر، وأن يقضي لصاحب الحقّ بحقّه ويرد على صاحب الباطل باطله[3]. وقد فرض الله سبحانه وتعالى على عباده التحاكم إلى شرعه، وبيّن ذلك في آيات كثيرة وعلى وجوه مختلفة، فمن ذلك[4]:

---

[1] – رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب بني الإسلام على خمس، ج1، ص07.

[2] – مقاصد الشريعة وعلاقاتها بالأدلة الشرعية ص 196– بتصرف–

[3] – اليوبي "مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقاتها بالأدلة الشرعيّة، نقلا عن كتاب الإسلام وضرورات الحياة" ص 198.

[4] – د.يوسف الشبيلي "مقاصد التشريع الإسلامي" ص 34.

1- أنّ الحكم لله وحده قال تعالى: ﴿**إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ ..**﴾ [الأنعام:57] وقال:﴿**وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ...**﴾ [الشورى:10].

2- إنّ الحكم بشريعته هو الغاية من تنزيل القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ..** ﴾ [النساء:105].

3- إن ماسوى حكم الله هواتّباع للهوى وللضلالة، وبيّن ذلك في قوله تعالى: ﴿ **يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ [ص:26]

4- أنّ الحاكم به يحفظ الدّين في خاصّة نفسه لأنّ الله عزّ وجلّ نفى الإيمان عمّن لم يحكم بما أنزل الله ووصفه بالكفر، قال تعالى: ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ**﴾ [النساء:65]، وقال تعالى: ﴿**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾ [المائدة:44]

5- أنّه يحفظ الدّين في مجتمعه وذلك بإظهار أحكام الإسلام وشعائره وإقامة حدوده، وجعله مهيمنا على الحياة كلّها ممّا يتناسب مع هذا الدّين ومقاصده، ومن المعلوم مايحقّقه ذلك من حفظ للدّين، بترسيخ مفاهيمه في النّفوس، وتحقيق مقاصده من العدل وتحقيق المصالح ودرء المفاسد.

6- أنّ الحكم بالدّين وتطبيق أحكامه يسدّ الباب عل أهل الأهواء المنحرفة والمذاهب الهدامة والأفكار الضّالة، ويمنعهم من نشر مبادئهم وإظهار أمرهم[1].

الوسيلة الثالثة: الدّعوة.

الدّعوة إلى هذا الدّين وظيفةُ الأنبياءِ والمرسلين عليهم السلام، ومن أجلها تحمّلوا المتاعب وصبروا على الأذى حتى أظهر الله أمرهم وأعلى شأنهم.ولايمكن أن يتصور قيام دين وانتشاره بدون دعوةٍ

[1] - "مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشّرعية" ص 199

إليه،وبيانٍ لمحاسنه وتوضيحٍ لأحكامه وآدابه،وكشفِ الشُّبهات عنه[1]. وتعتبرُ الدّعوة فرع عن الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر الذي هو سبب تفضيل هذه الأمّة على سائر الأمم[2].

فالنّاس ذو حاجة ماسّة إلى الدّعوة كحاجتهم إلى الطعام واللّباس فهمْ فقراء إلى الله سبحانه وتعالى فيما يطعم أبدانهم من جوع،وفيما يزّكي أرواحهم من كدره ومهما أوتي بعضهم من ذكاء،أو صفاء فإنّه لن يستطيع تدبير شأنه وإصلاح أمره بعيدا عن وحيِ الله وتعليم أنبيائه[3].

تعريف الدّعوة: إنَّهَا برنامج كامل يضُمُّ في أَطْوائِهِ جَميعُ المَعَارِف التي يحتاجُ إليهَا النَّاسُ ليبْصرُوا الغَاية من محياهم،وَلِيَستكْشِفوا مَعَالِمِ الطَريق التي تَجْمعهم راشدين[4].

مشروعية الدّعوة:

قال تعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [آل عمران:104]

قال تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ [النّحل:125].

قال تعالى: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [يوسف:108].

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**بلّغوا عنّي ولو آية، ..**» [1].

---

[1] – المرجع نفسه ص 199

[2] – مقاصد الشريعة الإسلامية ص 97

[3] –محمد الغزالي "مع الله"، ص 22

[4] – الغزالي "مع الله"، ص 17.

وقال أيضا عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»[2].

وسائل الدّعوة: لكي تتحقق الدّعوة وتظهر نتائجها في المجتمع بشكل مميّز فلابدّ من أساليب تكون منهجا للداعي ونبراسا في طريقه وهي كالتالي:

❖ الدّعوة بالقدوة: منَ الوسائل المهمّة والتي كانت متوفرة لدى رسول الله صلى الله عليه وسلم في تبليغه الدّعوة إلى الله تعالى وجذب النّاس إلى الإسلام سيرته الطيّبة في كلّ مراحل حياته،و قد عرف الدّاعية محمد صلى الله عليه وسلم بأفعاله الحميدة وصفاته العالية وأخلاقه الرفيعة الزّكية قبل البعثة وبعدها ممّا أهله ليكون قدوة طيّبة وأسوة حسنة للنّاس[3]، ويظهر ذلك من قول الله سبحانه وتعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾ [الأحزاب:21].

إنّ القدوة الحسنة وظيفة إمامةٍ للمسلمين والمسلمات، فمن احتلّ مرتبة إمام يقوم على شؤون النّاس ويسهر عليهم ويؤمهم في صلاتهم فعليه أن يتصف بما يليق بمقام الإمام لأنه يعتبر الرّكيزة الأساسية في التوجيه والإرشاد. فإذا عصى معاصيَ تخلّ بحقوق مرتبة المتّقين ضوعف له العذاب. فالقدوة الحسنة تجذب النّفوسَ والقلوب للتقليد والاتّباع بمحاسن سلوكها الفرديّ والاجتماعي، وبعيشها عيشا رَضِيّاً هانئا مستقرًّا آمنا سَعيدا[4]، وَصَلَاحُ المؤْمنِ هُوَ أَبْلَغُ خطبة تَدْعُو النَّاس إِلَى الإِيمَانِ، وخَلْقَهُ الفَاضِلُ هُوَ السّحر الذِي يَجْذُبُ إليهِ الأفْئدة ويَجْمَعُ عَلَيْهِ القُلُوب، فالدَّاعيةُ المُوفَقُ النّاجح هُوَ الذِي يَهْدِي إِلَى الحَقِّ بِعَمَلِهِ، وإِن لم ينطق بكلمة[5].

---

[1] – أخرجه البخاري في صحيحه. الرقم:3274، كتاب اللأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل.

[2] – أخرجه مسلم في صحيحه. الرقم:49، كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان.

[3] – أحمد بن مهني مصلح، وءاخرون "شذا من السيرة"، ص 75.

[4] – عبد ارّحمان حسن حبنكة الميداني "فقه الدّعوة إلى الله"، ج1، ص 460.

[5] – الغزالي "مع الله" ص 296

❖ طلب العلم: جرى العلماء على التثنية بكتاب العلم بعد كتاب الإيمان، في تصنيف الكتب الفقهية والحديثة، لما للعلم من أهميّة ومكانة، وليس أدلّ على أهميّته[1] من قول الله تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنُوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بماتعملون خبير﴾ [المجادلة:11].

وقوله عزّ وجل: ﴿**وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾ [طه:114]،

يقول ابن حجر: "يرفع الله المؤمن العالم على المؤمن غير العالم، ورفعه الدرجات تدلّ على الفضل، إذ المراد به كثْرة الثواب، وبها ترفع الدرجات، ورفعتها تشمل المعنوية في الدّنيا بعلُوِ المترلة وحسن الصيت، والحسيّة في الآخرة بعلُوِ المترلة في الجنّة....، وقوله عزّ وجل: ﴿**وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا** ﴾، واضح الدلالة على فضل العلم، لأنّ اللهَ تعالى لم يَأمرُ نبيّه صلى الله عليه وسلّم بطلب الازدياد من شيء إلاّ من العلْمِ، والمرادُ بالْعِلْمِ العلْم الشَّرعي"[2]. والإسلام حرّضَ كثيرا على طلب العلم وأبدى له أهميّة كبيرة ويظهر ذلك في نزول أول آية من القرآن تحث على العلم، قال الله تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾ [العلق]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: «**ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنه**»، فالاهتداء إلى الحقّ نعمة جزيلة، وانشراح الصّدر به خير غزير، وأول مايجب على أصحاب الحقّ –وقد عرفوه– أن يفتحوا عيون الآخرين على ضوئه، وأن يعْرفوا الجاهلين بِهِ، وأن يجعلوه في الحياة واضحًا كشُعاع الشّمس، شائعا كأمواج الهواءِ، والعالم بحاجة ملّحة إلى أن ينشط أهل الإيمان الصّحيح لشرح أصوله وإبداءِ صفحته، ودحض الشبه المثارة حوله، واستخراج الجهال من الكهوف المطروحين بها لتمتلئ صدورهم بأنفاس الحقيقة الرّحبة[3].

❖ الترغيب والترهيب[4]:

---

[1] – د. عادل عبد الله الليلي الشويخ "مسافر في قطار الدّعوة"، ص47.

[2] – بن حجر العسقلاني "فتح الباري"، ج1، ص177– 178.

[3] – الغزالي "مع الله"، ص 301

[4] – المصدر نفسه ص 311– 313

أ) التَرغيب: هوَ الحَثُّ عَلَى فِعْلِ الخيْرِ وَأدَاء الطّاعاتِ والاستقامَةِ عَلَى أَمْرِ اللهِ، لأنّ المَرْءَ بطَبيعَتِه يحبُّ النّفْعَ العَاجِل، ويؤثِرُ أَنْ يَجْنِي ثمَارَ استقامتهِ وَفْرَة وأمْنًا وَسِتْرًا. ومن أمثلة الترغيب قَوْلَهُ تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآَمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [الحديد:28].

ب) التّرهيب: هو كلّ مايخيفُ ويحذِّرُ المَدْعو مِنْ عَدَمِ الاستجَابَةِ أو رفض الحَقِّ أَوْعَدَمِ الثبَاتِ عَلَيْهِ بعْدَ قبولِه. فكَمَا تقاد النّفْسُ البشرية عَن طريق الرّغبة فإنّها تُقَادُ عَن طَريق الرّهبة لتكُفّ عَن الرذيلة وتندفع إلى الفضيلة خَوْفًا من مَغَبَّةِ التَرَاخِي أَوْ التَّفْرِيط. والترهيب لايكونُ دائمًا بالتّخويف فقط بل بإبراز المَعَاصِي ومَا فيهَا من فَسادٍ[1]. فالذي يشتهِي لذة محرّمة قد تقمع سوُرَتها في نفسه بِذكْرِ الله ذي الجلال والذي يستهينُ بِالحقوق وَيَغْتَرُ بقوتهِ فَيَحْتَاجُهَا دون مبالاة، قد نُخَوِفّهُ بِذِي الجبروت الذي إذَا سَخَط عليْهِ خَف بِه. والله سبْحانه وتعالى قويٌ متين، وَعزيز ذوانتقام، وديّان لايَموتُ، والتَّخْوِيفُ به حقٌّ وأثَرُ الخَوْفِ بعيد المدى[2].

صفات الداعي:

توجد صفات عديدة للداعي الراقي نذكر بعضها على السبيل التمثيل لا الحصر وهي:

❖ الإخلاص: قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ**﴾ [الزمر:11]، أي قل يا محمد أمِرْتُ بإخْلاص العبادة لله وحده لاشريك له[3].

فإخلاص العمل يعني ليس فيه رياء، ولاسمعة عندالتبليغ، ولوأراد هذا الدّاعي من جهده الدّنيا، فلايدخل الجنّة، حتى ولو استشهد[4]، قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم في الحديث القدسي: «**قال الله تبارك وتعالى :أنا أغنى الشُّركاء عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أشْرَكَ فيه غيري تَركْتُهُ وَشِرْكُهُ**»[1].

---

[1] – أحمد بن مهني مصلح، وءاخرون "شذا من السيرة"، ص 82.

[2] – الغزالي "مع الله" ص 315

[3] – الصّابوني "صفوة التفاسيير"، ج3، ص 52– ص53.

[4] – د. خالد زيد ميتا "الدعوة والتبليغ مسؤوليّة المسلمين في العالم"، ص 425.

❖ الصبر: إنّ طريق الدّعوة إلى الله- عزّوجل- ليسَ هيِّنًا لَيِّنًا وليْسَ مَفْرُوشًا بالزُّهُورِ والورود والرّياحينَ... ولاخاليًا مِنَ المكَذِّبينَ وَالمعَانِدينَ والمُحَاربين، فإنّه طريقٌ طويلٌ حافِلٌ بِالْعَقباتِ والأشْواكِ مفروشٌ بِالدِّمَاءِ والأشْلَاءِ، محْفوفٌ بالْمَخَاطِرِ والفتن والابتلاءات، يدوي في جنابته عَوِيلُ المجرمين من الكفار والمنافقين[2]، ويُعتبرمن أخطر وأهمّ أدوات الدّعاة، ولذلك يحتاج إلى قدركبير منه مع نفسه ومع المدعو وإلاّ لن يستطيع أن يتجاوز العقبات ويتحمّل الأذى، فإن فقد الصبر قعد أو انسحب من الميدان[3]. ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلّم المثل الأعلى إذ لقيَ من قومه الأذى ولكن صبر وتيّقن بنصر الله وكلّ ذلك كان تثبيتًا من الله سبحانه وتعالى: ﴿ **واصبر وماصبْرُكَ إلاَّ باللَّه**﴾ [النحل:127]، ﴿**إنّما يوفّى الصّابرون أجرهم بغير حساب**﴾ [الزمر:10].

❖ فهم سنن الله تعالى في الدعوات: ويكون بـــ:

أ)استكمال أسباب النّجاح والتوفيق ، ب)دور الدّعاة في البلاغ فقط دونما انتظارالنتائج، ج)النتائج القريبة والبعيدة، د) فقه قواعد ومبادئ الدّعوة *الثوابت والمتغيّرات*[4].

❖ الاتّصاف بالأخلاق الحسنة: إنّ الأخلاق الحسنة لها أثر كبير في الدّعوة إذ تعتبر الشيء الملفت إلى مايقوله الداعي كطلاقة الوجه والبشاشة والتواضع والرّحمة على النّاس[5].

❖ أن يَكُونَ الدّاعي دائمًا مُحِبًّا لله تعالى، ممتثلًا أوامرُه[1]. ويتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [آل عمران:31]

---

[1] – مسلم :كتاب الزهد والرقائق.

[2] – د. محمد حسان "خواطر على طريق الدّعوة"، ص255.

[3] – د.عبد الكريم زيدان "أصول الدّعوة"، ص 350.

[4] – إبراهيم الديب "أسس الدّعوة الفردية"، ص 77.

[5] – الدّعوة والتبليغ ص 428

حكم التبليغ:

إنّ تبليغ دين الله للنّاس واجب على الامّة المحمديّة التي اجتباها الله، وجعلها أمّة وسطا. وهذا الواجب تتحمّل الأمّة الإسلاميّة جميعها مسؤولية تهيئة مايلزم للقيام به على الوجه المطلوب، ومن ذلك تهيئة وإعداد من يقوم بالدّعوة الرّصينة الحكيمة إلى دين الله[2]، والايات على وجوب الدعوة كثيرة عديدة.

موقف الداعي من العاصي: الدّاعي ينظر إلى العصاة نظرة إشفاق ورحمة فهو يراهم كالوافقين على حافة واد عميق سحيق في ليلة ظلماء. يخاف عليهم من السّقوط، ويعمل جهده لتخليصهم من الهلاك. وهو في سبيل هذه الغاية، يتجاوز عن تجاوزهم على حقّه إن كانت معصيتهم في حقّه ولايعيرهم ولايشمت بهم، ولايحتقرهم افتخارا بنفسه عليهم وإدلالا بطاعته، ولكن أن يستصغرهم لمعصيتهم وتجاوزهم حدود الشّرع، وأن يغضب لهذا التجاوز[3].

وفي الأخير نقول أنّ الدّعوة إلى الله يجب أن تكون نصب عيني كلّ مسلم، فإنّ الله سبحانه وتعالى جعل الدّعوة هي سبب رقيّ هذه الأمّة وأخذها بأسباب القوة والخير[4]. ومن أجلِّ وسائل حفظ الدين.

المطلب الثاني: حفظ الدين من جانب العدم.

حفظ الدين من جانب الوجود وحده لا يكفي، فهو الجناح الأيمن، فلابد للطائر من جناحان، فحفظ الدين من جانب العدم هو الجناح الثاني، "وذلك برد كل ما يخالف الدين من لأقوال والأعمال. هذه الوظيفة الجهادية م نأهم وسائل حفظ الدين لأن ترك الأقوال الباطلة ، والمعتقدات الباطلة والأفكار المنحرفة، والمذاهب الهدامة تتسرب إلى عقول المسلمين دون إنكار ولا رد، فيه ضياع لهذا الدين حيث

---

[1] – المرجع نفسه ص 426

[2] – عبد الرّحمان الميداني "فقه الدّعوة إلى الله"، ج1 ص 47.

[3] – أصول الدّعوة ص 409.

[4] – الشيخ أحمد بن حمد الخليلي "معالم الجيل الواعد" ص 49.

سيدخل في الدين ما ليس منه، ويلبس الحق بالباطل. ويبتعد الناس عن الدين جيلا جيلا حتى تنشأ أجيال لا يعرفون إلا ذلك الدين المحرف الذي اختلط فيه الحق بالباطل"[1].

الوسيلة الأولى: الجهاد.

هناك من عد الجهاد في جانب الوجود، ولكنه في جانب العدم أنسب لأنه مما يسد الخلل عن الدين.

ولابد منه لحفاظ الدين، لأن الدعوة بالكلمة الطيبة والحكمة الحسنة لايقبلها كل الناس فتجد المعارض، والصاد عن دين الله والمحارب للإسلام والمسلمين، كما كان الحال في بدء الوحي وكما هو إلى وقتنا الحالي، فاستوجب على المسلمين بما أوتوا من قوة أن يجاهدوا في سبيل الله لإعلاء كلمة الله ولحفظ هذا الدين من الزوال ومن أدنى خلل.

قال الله تعالى مبينا أهمية الجهاد لحفظ الدين: ﴿**وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾ [الحج:40]. "أي لولا ما شرعه الله تعالى للأنبياء والمؤمنين من قتال الأعداء، لاستولى أهل الشرك وعطلوا ما بينته أرباب الديانات من مواضع العبادات، ولكنه دفع بأن أوجب القتال ليتفرغ أهل الدين للعبادة. فالجهاد أمر متقدم في الأمم، وبه صلحت الشرائع واجتمعت المتعبدات.."[2].

ضرورة الجهاد في حفظ الدين، وهو أن تسلط الكفار على المؤمنين يلزم منه أمور:

أ) منع المؤمنين من القيام بشعئر دينهم والتضييق عليهم.

ب) إظهار الأحكام والقوانين المنافية للإسلام وإبعاد الدين وإقصاؤه عن الحياة.

ت) زهد الاخرين فيه وخوفهم منالدخول فيه لما يرون من حال أهله وكونهم أذلاء مهانين، لا يملكون من أمر أنفسهم شيئا، يعذبون ويحتقرون.

ث) تشويه صورة الدين، وتنفير الناس منه، وبث الدعاية ضده مما يجعل النفوس تنفر منه، ولا تقبله.

---

[1]- د. اليوبي "مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية"، ص206.

[2]- القرطبي "الجامع لأحكام القرآن".

ج) حصر الدين والتضييق عليه في حدود منطقته وهذا يدوره يؤدي إلى قلة أتباعه ومن ثم إلى عدم مقدرتهم على مجاهدة أعدائهم[1].

الوسيلة الثانية: محاربة الردة.

الردة هي الإتيان بما يخرَج به عن الإسلام، إما نطقا، أو اعتقادا، أو شكا ينقل عن الإسلام[2]، وسواء قاله استهزاءا، أو عنادا، أو اعتقادا[3]. والمرتد: هو الراجع عن دين الإسلام[4] إلى الكفر، إما بالتصريح بالكفر، أو بلفظ يقتضيه، أو بفعل يتضمنه[5].

ولايجوز ترك الإسلام بعد الدخول فيه، لا للفرد، ولا للجماعة، ولأي سبب كان، ومن فعل هذا الفعل فحده القتل، والأدلة تثبت ذلك:

- قال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ [البقرة217].
- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "من بدَّل دينه فاقتلوه"[6].

ولابد من شرطين أساسين لاعتبار المرتد راجعا عن دين الإسلام اتفق العلماء عليهما لصحة الردة، وهما: العقل، والإختيار.

---

[1]- د. اليوبي "مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية"، ص205.

[2]- ابن قدامة " المغني" (ج10).

[3]- د.وهبة الزحيلي "الفقه الإسلامي وأدلته"، ج6، ص183.

[4]- "المغني" مرجع سابق.

[5]- د.وهبة الزحيلي "مرجع سابق" (ص184).

[6]- البخاري "6922"

العقل: هو مناط التكليف، فيخرج بذلك المجنون والصبي غير المميز، "أما السكران فتصح ردته عند الجمهور، لأن الصحابة أوجبوا عليه حدّ الفرية، ولكن لا يقتل وهو سكران، ولاتصح عند الحنفية استحسانا، لأنه زائل العقل كالنائم والمجنون"[1]. والصّبي تصح ردته لدا الجمهور لشرط العقل، أما عند الشافعية وأبو يوسف لاتصح لشرط البلوغ والتكليف.

أما الذكورة فليست شرطا في صحة الردة عند جمهور العلماء لعموم قوله ﷺ: **"من بدَّل دينه فاقتلوه"**، ولأنه أخرج ابن المنذر عن ابن عباس راو الحديث أنه قال: "تقتل المرأة المرتدّة"[2].

وعند الحنفية لا تُقتل المرأة المرتدة لقوله ﷺ: "لاتقتلوا امرأة"، ولما صح عن النبي ﷺ أنه لما رأى امرأة مقتولة، قال: "ما كانت هذه لتقاتِل"[3].

أجاب الجمهور: النهي إنما هو عن قتل الكافرة الأصلية، ولّما كانت لا تقاتِل[4].

* يستتاب المرتد لقول عمر لما أخبروه عن قتل رجل ارتد: "هلا حبستموه في بيت ثلاثة أيام وأطعمتموه في كل يوم رغيفا لعله يتوب"[5].

ومنهم من عارض حكم الردة، لقوله تعالى: ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾ [البقرة256]، لما لم يعلم أنَّ الآية منسوخة، وإن لم تكن كذلك فالآية تعني من لم يسبق له أن دخل في الإسلام، أما من سبق وأن دخل في الإسلام، "حين يصل إلى هذا المستوى يكون قد ارتد إلى أقصى

---

[1]- وهبة الزحيلي "مرجع سابق" ص184.

[2]- الصنعاني "سبل السلام".

[3]- رواه أحمد في مسنده.

[4]- "سبل السلام" مرجع سابق.

[5]- الصنعاني "سبل السلام"

دركات الإنحطاط ووصل إلى الغاية في الإنحدار والهبوط، ومثل هذا الإنسان لايبتغي المحافظة عليه ولا الحرص على بقائه لأن حياته ليست غاية كريمة ولا مقصد نبيل..."[1].

ولبيان أهمية محاربة الردة لحفظ الدين قال شيخ الإسلام: "فإنه لو لم يقتل ذلك – يعني المرتد– لكان الداخل في الدين يخرج منه فقتله حفظ لأهل الدين والدين، فإن ذلك يمنع من النقص ويمنعهم من الخروج عنه.."[2].

الوسيلة الثالثة: محاربة الأهواء والبدع وأهلهما.

قال الله تعالى: ﴿**وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ** ﴾ [المؤمنون:71].

وقال تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِيناً**﴾ [المائدة:3].

عن جابر بن عبدالله قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش، يقول: "صبحكم ومساكم". ويقول: "بعثت أنا والساعة كهاتين". ويقرن بين أصبعيها لسبابة والوسطى. ويقول: "أما بعد. فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة"[3].

قال أحمد بن حنبل: أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، والإقتداء بهم، وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة، وترك الخصومات، والجلوس مع أصحاب الأهواء، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين[4].

---

[1]– السيد سابق "فقه السنة".

[2]– ابن تيمية "مجموع الفتاوى" 102/20.

[3]– أخرجه مسلم في الصحيح، الرقم: (867) ،باب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة.

[4]– أحمد بن حنبل "أصول السنة"، ص5.

البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية. فكل ما يتعلق به الخطاب الشرعي يتعلق به الابتداع، والعامل بغير السنة تدينا هو المبتدع بعينه. **ويتصف بما يلي:** ليس على ثقة من بدعته، ويتهم الشريعة بالنقص، ويعاندها، ويقدم الهوى على الهدى، ويحب الفرقة[1].

وذكر الشاطبي ما على المبتدعة من العقوبة والزجر لهم، كل حسب درجة بدعته، ولهذا قال الفقهاء: "إن الداعية إلى البدع المخالفة للكتاب والسنة، يعاقب بما لا يعاقب به الساكت"[2]. وذلك بإقامة الحجة، وبالهجران، والسجن، وإشاعة بدعتهم كي يُحذَروا، وقتلِهم وقِتالهم، وتكفير من دل الدليل على كفره، ولا يرثون و لا يورثون ولا يغسلون ولا يصلى عليهم ولا يدفنون في مقابر المسلمين، ولابد من تجريحهم، (إلا أنه قد ثبت رواية جماعة منهم واختلفوا في الصلاة خلفهم من باب الأدب ليرجعوا)، وترك عيادتهم، وجنائزهم، وضربهم[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: " أجمع علماء المسلمين على أن كل طائفة ممتنعة عن شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة، فإنه يجب قتالها، حتى يكون الدِّين كلّه لله. فإنه يجب جهاد هذه الطوائف جميعها...، وغيرهم من أصناف أهل الأهواء والبدع الخارجين عن شريعة الإسلام. وذلك لأن الله تعالى يقول: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه**﴾ [الأنفال:39]. فإذا كان بعض الدين لله وبعضه لغير الله وجب قتالهم حتى يكون الدين كله لله، وقال تعالى: ﴿**فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ**﴾ [التوبة:5]، فلم يأمر بتخلية سبيلهم إلا بعد التوبة"[4].

---

[1]- الشاطبي "الإعتصام".

[2]- ابن تيمية "مجموع الفتاوى" 255/28.

[3]- الشاطبي "الإعتصام".

[4]- ابن تيمية "مجموع الفتاوى" 469/28.

وقال: "المبتدع الذى خرج عن بعض شريعة رسول الله ﷺ وسنته، واستحل دماء المسلمين المتمسكين بشريعة الله، وأموالهم، هو أولى بالمحاربة من الفاسق وإن اتخذ ذلك دينًا يتقرب به إلى الله... لهذا اتفق أئمة الإسلام على أن هذه البدع المغلظة شر من الذنوب التى يعتقد أصحابها أنها ذنوب"[1].

وعلى كل حال، تحيا البدع وتموت السنن، وهو هدم الاسلام بعينه[2]، لذا يجب محاربة البدع والمبتدعة لأجل حماية الدين من الإنحراف والزيغ وحفظه من كل زلل وخلل.

ويقول الشاطبي: "المقصد الشرعي من وضع الشريعة إخراج المكلف عن داعية هواه حتى يكون عبدا لله اختيارا كما هو عبدا لله اضطرارا (...) فاتباع الهوى مضاد للحق [الجاثية 23/ المؤمنون71] فكل موضع ذكر فيه الهوى فإنما جاء في معرض الذم له ولمتبعيه، وقد روي هذا المعنى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "ما ذكر الله الهوى في كتابه إلا ذمه" فهذا كله واضح في أن قصد الشارع الخروج من اتباع الهوى والدخول تحت التعبد للمولى"[3]. وهذا هو حفظ الدين بعينه.

---

[1]- ابن تيمية "مجموع الفتاوى" 470/28.

[2]- الشاطبي "الإعتصام".

[3]- الشاطبي "الموافقات". ج2، ص289.

المبحث الثالث: نماذج من الكتاب والسيرة النبوية وحياة الصحابة لحفظ الدين.

المطلب الأول: نماذج من الكتاب.

إن أول من دعى إلى دين الله الحنيف هو الله سبحانه وتعالى من خلال ما بعثه مع خير خلقه وخير من وطأ الأرض الأنبياء عليهم أزكى الصلاة والسلام، وآخرهم الرحمة المهداة والنعمة المسداة إمام الأتقياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم، فأرسل معه كتابا فيه خبر من قبلنا وخبر من بعدنا، من جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلف ظهره قاده إلى النار، من خلاله نتعرف على أعظم مقاصد الخالق من الخلق.

1) **مدح الدين**: جاء في مدح الدّين عموما الآيات التالية:

❖ قال الله تعالى: ﴿**صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ**﴾ [البقرة (138)]

صِبْغَةَ اللَّهِ, قال الضحاك عن ابن عباس: "دين الله"[1].

وفي قوله تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً}: "الاستفهام هنا بمعنى النفي؛ أي لا أحد أحسن من الله صبغة؛ وذلك؛ لأن دين الله عزّ وجلّ مشتمل على المصالح، ودرء المفاسد؛ ولا يوجد دين يشتمل على هذا إلا ما جاء من عند الله، سواء كان الدين الإسلامي الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، أو الأديان الأخرى ما دامت قائمة لم تنسخ"[2].

❖ قال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ...**﴾ [النساء:125]

خيَّر الله بين الأديان فقال: {وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ}. أما قوله: {وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ} أخلص العمل لربه عز وجل فعمل إيماناً واحتساباً, {وَهُوَ مُحْسِنٌ}

[1]- التفسير لابن كثير.

[2]- ابن عثيمين "تفسير القرءان الكريم"

أي اتبع في عمله ما شرعه الله له, وما أرسل به رسوله من الهدى ودين الحق, وهذان الشرطان لا يصحُّ عمل عامل بدونهما[1].

❖ قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ...**﴾ [إال عمران:18- 19]

إخبارا منه تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام, وهواتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين حتى ختموا بمحمد صلى الله عليه وسلم الذي سد جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد ﷺ, فمن لقي الله بعد بعثة محمد ﷺ بدين على غير شريعته فليس بمتقبل, كما قال تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ...} [إال عمران.85.], وقال في هذه الآية مخبراً بانحصار الدين المتقبَّل عنده وهو الإسلام[2].

2) **الإيمان بالله:** إن فهم مراد الله تعالى المعبر عنه بالمقاصد يشمل فيما يشمل مراد الله في بيان الدين الحق وما ينبغي أن يكون عليه الإنسان من عقيدة حتى لا يقع في الإبتداع في الدين من خلال اتباع الأهواء والنَّزعات الشخصية.

❖ قال تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات.56.]. في معنى قوله تعالى: "إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" جاء في التفاسير عدة أقوال، وأولاها في ذلك بالصواب قول ابن عباس[3] عن علي بن أبي طلحة: "أي إلا ليقروا بعبادتي طوعاً أو كرهاً"[4].

لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب، فهي تتضمن غاية الذل للّه بغاية المحبة له[5].

---

[1]- التفسير لابن كثير.

[2]- التفسير لابن كثير.

[3]- الطبري "تفسير الطبري"

[4]- التفسير لابن كثير

[5]- ابن تيمية "مجموع الفتاوى" ج10، ص153.

يقال: دنته فدان، أي: ذللته فذل، ويقال: يدين اللّه، ويدين للّه أي: يعبد اللّه ويطيعه ويخضع له، فدين اللّه عبادته وطاعته والخضوع له[1].

ويذكر ابن تيمية أن كمال محبة العبد لله يكون بثلاثة أمور:

تكميلها: أن يكون اللّه ورسوله أحب إليه مما سواهما، فإن محبة اللّه ورسوله لا يكتفي فيها بأصل الحب، بل لابد أن يكون اللّه ورسوله أحب إليه مما سواهما كما تقدم.

وتفريعها: أن يحب المرء لا يحبه إلا للّه.

ودفع ضدها: أن يكره ضد الإيمان أعظم من كراهته الإلقاء في النار[2].

والخلاصة: أن معبودهم رب العالمين الذي معرفته غاية المعارف وعبادته أشرف المقاصد والوصول إليه غاية المطالب[3].

❖ قال الله تعالى: ﴿**ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ**﴾ [الأنعام.102.]. وصف نفسه بالربوبية ليعبدوه، وبالتوحيد بالإلهية ليوحدوه، وبخلق كل شيء ليشكروه، وبتوكله بتدبيرهم ليعتمدوا عليه ويستندوا إليه[4]. وجعل المجاهدة في طاعته سببا للهداية إلى معرفته، فقال: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**..﴾ [العنكبوت.69.][5].

❖ ومن القصص أيضا مثل: قصة الذي حاج ابراهيم في ربه، قال الله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي**

---

[1]- ابن تيمية "مجموع الفتاوى" ج10، ص152.

[2]- ابن تيمية "مجموع الفتاوى" ج10،ص206.

[3]- ابن تيمية "مجموع الفتاوى" ج5،ص7.

[4]- ابن عبد السلام "نبذة من مقاصد الكتاب العزيز"، ص21.

[5]- ابن عبد السلام "نبذة من مقاصد الكتاب العزيز"، ص26.

وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ...﴾ [البقرة.258.]

"هذا الذي حاج إبراهيم في ربه هو ملك بابل (النمرود) وكان طلب من إبراهيم دليلاً, على وجود الرب الذي يدعو إليه, فقال إبراهيم {رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ} فعند ذلك قال المحاج –وهو النمرود – {أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ}. وذلك أني أوتى بالرّجلين, قد استحقا القتل فآمر بقتل أحدهما فيقتل, وآمر بالعفو عن الآخر فلا يقتل, فذلك معنى الإحياء والإماتة، ولهذا قال له إبراهيم, لما ادعى هذه المكابرة: {فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ} فلما علم عجزه وانقطاعه وأنه لا يقدر على المكابرة في هذا المقام, بهت, أي أخرس, فلا يتكلم, وقامت عليه الحجة"[1].

- ❖ وقصة أصحاب القرية، [يس:14-27]

فلما دعاهم إلى الإيمان بالله, وثبوا عليه وثبة رجل واحد فقتلوه[2]. و لم يكن له أحد يمنعه منهم. فهذه البعثة والتعزيز والدعوة والجدال الحسن في هذه القصة، كلها أساليب لحفظ الدين. والتحمل في الله حتى على حساب زوال النفس، له أجر عظيم.

3) العلم: هو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكاً جازماً. ويجب علينا تعلم أربع مسائل؛ الأولى: العلم وهو: معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام .... [3]

- ❖ قال الله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ [الزمر: 9].

---

[1]- أنظر: التفسير لابن كثير.

[2]- أنظر: التفسير لابن كثير.

[3]- محمد عبد الوهاب "الأصول الثلاثة".

لا يستوي الذي يعلم والذي لا يعلم، كما لا يستوي الحي والميت، والسميع والأصم، والبصير والأعمى، العلم نور يهتدي به الإنسان، ويخرج به من الظلمات إلى النور، العلم يرفع الله به من يشاء من خلقه[1].

❖ قال الله تعالى: ﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [ءال عمران:18]

{شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ} وهذه خصوصية عظيمة للعلماء في هذا المقام[2].

❖ قال تعالى: ﴿**...يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ...**﴾ [المجادلة.11]

أي لا تعتقدوا أنه إذا أفسح أحد منكم لأخيه إذا أقبل أو إذا أمر بالخروج فخرج, أن يكون ذلك نقصاً في حقه بل هو رفعة ورتبة عند الله, فإن من تواضع لأمر الله رفع الله قدره ونشر ذكره. وقال الإمام أحمد: قال عمر رضي الله عنه: أما إن نبيكم ﷺ قد قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب قوماً ويضع به آخرين»[3].

❖ قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**﴾ [فاطر.28.].

أي إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به, لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى, كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل كانت الخشية له أعظم وأكثر. عن ابن عباس في هذه الآية، قال: الذين يعلمون أن الله على كل شيء قدير، وقال: العالم بالرحمن من عباده من لم يشرك به شيئاً, وأحل حلاله وحرم حرامه, وحفظ وصيته وأيقن أنه ملاقيه ومحاسب بعمله. وقال سعيد بن جبير: الخشية هي التي تحول بينك وبين معصية الله عز وجل.

---

[1]- ابن عثيمين "كتاب العلم"، ص11.

[2]- التفسير لابن كثير.

[3]- التفسير لابن كثير.

وقال الحسن البصري: العالم من خشي الرحمن بالغيب, ورغب فيما رغب الله فيه, وزهد فيما سخط الله فيه, ثم تلا الحسن الآية[1].

4) الدعوة إلى الله:

القرءان كتاب دعوة لأمة الدعوة، قال تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ**﴾ [الشعراء:192-194].

- قال الله تعالى: ﴿**وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ...**﴾ [غافر:28]
- قال تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ [النحل:125]

يقول تعالى آمراً رسوله محمداً ﷺ أن يدعو الخلق إلى الله بالحكمة. قال ابن جرير: وهو ما أنزله عليه من الكتاب والسنة {وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ}, أي بما فيه من الزواجر والوقائع بالناس, ذكرهم بها ليحذروا بأس الله تعالى, وقوله: {وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} أي من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب[2].

- قال الله تعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [ءال عمران.104]

---

[1]- التفسير لابن كثير.

[2]- التفسير لابن كثير.

والمقصود من هذه الآية, أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن, وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه[1].

❖ قال الله تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ..**﴾ [ءال عمران:110]

عن أبي هريرة رضي الله عنه {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} قال: "خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام"[2], وهكذا قال ابن عباس. ولهذا قال: {تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} قال الإمام أحمد: عن درة بنت أبي لهب قالت: قام رجل إلى النبي ﷺ وهو على المنبر, فقال: يا رسول الله، أي الناس خير ؟ قال «خير الناس أقرؤهم وأتقاهم لله, وآمرهم بالمعروف, وأنهاهم عن المنكر, وأوصلهم للرحم» ورواه أحمد في مسنده, والنسائي في سننه, والحاكم في مستدركه, وهذه الآية عامة في جميع الأمة كل قرن بحسبه, كما قال قتادة: بلغنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حجة حجها, رأى من الناس سرعة, فقرأ هذه الآية {كنتم خير أمة أخرجت للناس} ثم قال: من سره أن يكون من تلك الأمة, فليؤد شرط الله فيها, رواه ابن جرير, ومن لم يتصف بذلك أشبه أهل الكتاب الذين ذمهم الله بقوله تعالى: {كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه} الآية[3].

❖ قال الله تعالى: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَآ أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [يوسف:108]

يقول تعالى لرسوله ﷺ إلى الثقلين: الإنس والجن, آمراً له أن يخبر الناس أن هذه طريقته ومسلكه وسنته, وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان عقلي وشرعي هو وكل من اتبعه.

---

[1]- التفسير لابن كثير.

[2]- البخاري "صحيح البخاري"، الرقم4281، كتاب التفسير، باب: {كنتم خير أمة أخرجت للناس}.

[3]- التفسير لابن كثير.

❖ قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مّمّن دَعَآ إِلَى اللّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت.33.]

أي دعا عباد الله إليه {وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} أي هو في نفسه مهتد بما يقوله وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه وينهون عن المنكر ويأتونه، ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى وهذه عامة في كل من دعا إلى الخير وهو في نفسه مهتد، وقيل المراد بها المؤذنون الصلحاء، قالت عائشة رضي الله عنها ولهم هذه الآية.

5) **الجهاد:**

الجهاد شرع لإعلاء كلمة الله تعالى، وإزالة الفتنة، قال الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال:39].احميدان

❖ قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِّبَاطِ الْخَيْلِ...﴾ [الأنفال:60]

أمر تعالى بإعداد آلات الحرب لمقاتلتهم حسب الطاقة والإمكان والاستطاعة, فقال: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ} أي مهما أمكنكم {مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ}. عن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر: «{وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ} ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي» رواه مسلم[1].

❖ قال الله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ...﴾ [الحج78]

قوله: {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ} أي بأموالكم وألسنتكم وأنفسكم, وقوله: {هُوَ اجْتَبَاكُمْ} أي يا هذه الأمة الله اصطفاكم واختاركم على سائر الأمم, وفضلكم وشرفكم وخصكم بأكرم رسول

[1]- ابن كثير "تفسير القرآن الكريم"

وأكمل شرع {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} قال ابن عباس: "يعني من ضيق"[1]. والآيات في الباب كثيرة، مثل:

❖ قال الله تعالى: ﴿**إِنّ اللّهَ اشْتَرَىَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنّ لَهُمُ الّجَنّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىَ بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [التوبة:111].

❖ قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الصف:10-13].

6) محاربة الشرك:

❖ قال الله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ... وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ...**﴾ [ابراهيم.26.]. ذم كلمة الشرك بالخبث تنفيرا منها كما مدح كلمة التوحيد بالطيب حثا عليها. وفي قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ...**﴾ [التوبة.28.]. وصفهم بذلك تنفيرا من الشرك لأن النجس القَذَر[2].

❖ قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَّشَآءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا**﴾ [النساء.48]

أخبر تعالى أنه {لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ}. أي لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك به, {وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ}, أي من الذنوب {لِمَن يَّشَآءُ}, أي من عباده[3].

---

[1]- ابن كثير "تفسير القرآن الكريم"

[2]- ابن عبد السلام "نبذة من مقاصد الكتاب العزيز"، ص26.

[3]- التفسير لابن كثير.

7) محاربة النِّفاق:

❖ قال تعالى: ﴿**تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ**﴾ [الأنفال.60]

قوله: {تُرْهِبُونَ} أي تُخَوِّفون {بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ} أي من الكفار {وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ } عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هم المنافقون.

❖ قال الله تعالى: ﴿... **قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ**﴾ [التوبة:65]

قوله: {أَبِاللَّهِ وَ...}الاستفهام للإنكار والتعجب، فينكر عليهم أن يستهزئوا بهذه الأمور العظيمة، ويتعجب كيف يكون أحق الحق محلا للسخرية؟ قوله: "أبالله": أي: بذاته وصفاته. وقوله: "وآياته" جمع آية ويشمل: الآيات الشرعية; كالاستهزاء بالقرآن، بأن يقال: هذا أساطير الأولين والعياذ بالله، أو يستهزأ بشيء من الشرائع; كالصلاة والزكاة والصوم والحج. والآيات الكونية; كأن يسخر بما قدّره الله تعالى، كيف يأتي هذا في هذا الوقت؟ كيف يخرج هذا الثمر من هذا الشيء؟ كيف يخلق هذا الذي يضر الناس ويقتلهم؟ استهزاء وسخرية. قوله: "ورسوله": المراد هنا محمد صلى الله عليه وسلم. قوله: "لا تعتذروا": المراد بالنهي التيئيس; أي: انهم عن الاعتذار تيئيسا لهم بقبول اعتذارهم. قوله: "قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ" أي: بالاستهزاء، وهم لم يكونوا منافقين خالصين، بل مؤمنين، ولكن إيمانهم ضعيف؛ ولهذا لم يمنعهم من الاستهزاء بالله وآياته ورسوله ﷺ[1].

8) الردة:

❖ قال الله تعالى: ﴿**وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ [البقرة.217].

[1]– ابن عثيمين "القول المفيد على كتاب التوحيد"، ج2.

{وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ} أي قد كانوا يفتنون المسلم في دينه حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه, فذلك أكبر عند الله من القتل[1]. قوله: "وَلَا يَزَالُونَ" تحذير منه للمؤمنين من شر الكفرة. قال مجاهد: يعني كفار قريش. و"يَرُدُّوكُمْ" نصب بحتى، لأنها غاية مجردة. قوله: "وَمَنْ يَرْتَدِدْ" أي يرجع عن الإسلام إلى غيره "فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ" أي بطلت وفسدت، فالآية تهديد للمسلمين ليثبتوا على دين الإسلام[2].

❖ قال الله تعالى: **﴿يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبّهُمْ وَيُحِبّونَهُ أَذِلّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾** [المائدة.45]

يقول تعالى مخبراً عن قدرته العظيمة أنه من تولى عن نصرة دينه وإقامة شريعته, فإن الله يستبدل به من هو خير لها منه, وأشدّ منعة, وأقوم سبيلاً, قال تعالى: **﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾** [محمد.38]. وقال تعالى: **﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾** [فاطر.16-17]. أي بممتنع ولا صعب. وقال تعالى ههنا "يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ" أي يرجع عن الحق إلى الباطل. "فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبّهُمْ وَيُحِبّونَهُ" قال الحسن: هو والله أبو بكر وأصحابه, وعن جابر بن عبد الله, قال: سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية، قال «هؤلاء قوم من أهل اليمن, ثم من كندة, ثم من السكون, ثم من تجيب», وهذا حديث غريب جداً[3].

9) البدعة:

❖ قال الله تعالى: **﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبّونَ اللّهَ فَاتّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رّحِيمٌ * قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرّسُولَ فَإِن تَوَلّوْاْ فَإِنّ اللّهَ لاَ يُحِبّ الْكَافِرِينَ﴾** [ءال عمران.31]

---

[1]- التفسير لابن كثير.

[2]- القرطبي "الجامع لأحكام القرآن".

[3]- ابن كثير "التفسير الكبير"

هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي, والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله وأحواله.

❖ قال الله تعالى: ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [النور.63]

أي عن أمر رسول الله ﷺ وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته, فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله, فما وافق ذلك قبل, وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائناً من كان, أي فليحذر وليخشَ من خالف شريعة الرسول باطناً وظاهراً، {أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ} أي في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة {أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} أي في الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك[1].

المطلب الثاني: نماذج من السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

ذكر الله سبحانه وتعالى المن على المؤمنين في القرءان بهذا اللفظ في موضعين، أحدها في قوله: "لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ" [ءال عمران.164]، وكل نعمة تمنن الله بها على عباده كان تمننه بها تنبيها عليها وعلى فضلها لنشكر، وهي أنواع: منها قوله: "لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ"، ومنها قوله: "هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ" [الجمعة.2]، ومنها قوله: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ" [الأنبياء:107]، ومنها قوله: "لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ" [التوبة:128][2]. وما أحوج البشر للنّبوة، "وهذا المعنى من الحاجة الماسة للنبوة، لأن الدين وهو من الضرورات الخمس لا يكون من غير نبوة، ولأن فيها خير هذا الإنسان ونفعه في دنياه وأخراه، ولأنه بغير النبوة تتعرض حياته للشقاء في الدنيا والهلاك في الآخرة أي تهدد ضروراته الأخرى بالهلاك

---

[1]– ابن كثير "التفسير الكبير"

[2]– ابن عبد السلام "نبذة من مقاصد الكتاب العزيز"، ص40.

...، ومن ثم كانت النبوة بهذا المعنى ضرورة تقتضيها خلقة الإنسان بكل ما فيها من ضرورات"[1]. وخير من حرص واجتهد على حفظ الدين وضح من أجل ذلك بالنفس والنفيس والغال والرخيص هو محمد بن عبد الله ﷺ، وسيرته أصح دليل على قولنا.

قام رسول الله ﷺ، فظل قائمًا بعدها أكثر من عشرين عامًا؛ لم يسترح و لم يسكن، و لم يعش لنفسه ولا لأهله. قام وظل قائمًا على دعوة الله ، يحمل على عاتقه العبء الثقيل الباهظ ولا ينوء به، عبء الأمانة الكبرى في هذه الأرض، عبء البشرية كلها، عبء العقيدة كلها، وعبء الكفاح والجهاد في ميادين شتى، عاش في المعركة الدائبة المستمرة أكثر من عشرين عامًا؛ لا يلهيه شأن عن شأن في خلال هذا الأمد منذ أن سمع النداء العلوي الجليل، وتلقى منه التكليف الرهيب... جزاه الله عنا وعن البشرية كلها خير الجزاء[2].

وليست النماذج الآتية إلا صورة مصغرة بسيطة من هذا الجهاد الطويل الشاق الذي قام به رسول الله ﷺ خلال هذا الأمد.

ويمكن تلخيص الرسالة المحمدية في أسطر تتضمنها النماذج التي تحدثنا عنها سالفا.

منذ أن بعث الله نبيّه وكلفه بدعوة الأمة إلى قيام الساعة، كانت عيناه تنامان ولكن قلبه لا ينام، وكان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه، وكان لايجد من الدقل ما يأكله، وكان ينام على الحصير حتى يؤثر في جنبه من أجل أن يقوم بهذه المهمة العظيمة التي اسندت إليه، فأول ما نزل من غار حراء دعا خديجة أول أزواجه رضي الله عنها فأسلمت، ثم ما لبث أن قصد أبا بكر صاحبه فدعاه إلى الإسلام فأسلم هو كذلك، فكانت إنطلاقة موفقه. مباشرة إلى مرحلة الدعوة السرية التي بلغت ثلاث سنوات، حيث أسلم في هذه المرحلة الكثير من الصحابة الذين قام على تضحياتهم الدين من بعد. وبعدها جاء الأمر من المدبر الحكيم جل جلاله بالجهر بالدعوة في قوله تعالى: "وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ" [الشعراء:214]، عن أبي

---

[1]-راجح (كردي بني فضل) "النبوة ضرورة لخلق الإنسان"، ص199.

[2]- صفي الرحمان المباكفوري "الرحيق المختوم"، ص46.

هريرة قال: لما أنزلت هذه الآية:{وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا. فاجتمعوا. فعم وخص. فقال "يا بني كعب بن لؤي! أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني مرة بن كعب! أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني عبد شمس! أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني عبد مناف! أنقذوا من النار. يا بني هاشم! أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني عبدالمطلب! أنقذوا أنفسكم من النار. يا فاطمة! أنقذي نفسك من النار. فإني لا أملك لكم من الله شيئا. غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها"[1].

فما كان من مكة إلا أن عارضوه وصدوه بما أوتوا من وسيلة. فوفدوا يوما إلى أبي طالب يطالبونه أن يكفه عنهم، وعقدوا بعدها مجلسا استشاريا لكف الحجاج عن استماع الدعوة، وأساليب غيرها كثيرة، فردية وجماعية، سلمية وهجومية، ذكر ابن إسحاق وغيره عن ابن عباس: أن الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن عبدالمطلب، وأمية بن خلف؛ لقوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد، هلم فلنعبد ما تعبد، وتعبد ما نعبد، ونشترك نحن وأنت في أمرنا كله، فإن كان الذي جئت به خيرا مما بأيدينا، كنا قد شاركناك فيه، وأخذنا بحظنا منه. وإن كان الذي بأيدينا خيرا مما بيدك، كنت قد شركتنا في أمرنا، وأخذت بحظك منه؛ فأنزل الله عز وجل: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ** ...﴾ [2].

وعن عروة بن الزبير قال: سألت عبد الله بن عمرو عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ، قال: رأيت عقبة بن أبي معيط، جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي، فوضع رداءه في عنقه فخنقه به خنقا شديدا، فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه، فقال: "أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ" [غافر:28] [3].

اجتهد النبي ﷺ كذلك على حماية أتباعه من هذه الإضطهادات، فاتخذ لهم دار الأرقم ملجئا سرّيا يعلمهم فيه، حتى حضر أجل الهجرة الأولى إلى الحبشة. أما قريشا وفدوا إلى أبا طالب يهددونه، فبعث

---

[1]– مسلم "صحيح مسلم" كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: {وأنذر عشيرتك الأقربين}ص348.

[2]– القرطبي "الجمع لأحكام القرآن" تفسير سورة الكافرون.

[3]– البخاري "صحيح البخاري" الرقم3475 (كتاب فضائل الصحابة) باب (لو كنت متخذا خليلا).

إلى رسول الله ﷺوقال له: فإن رأيت أن تكفَّ عنهم؟ فحلَّق ببصره إلى السماءِ فقال: «والله، ما أنا بأقدرَ أن أدعَ ما بُعثت به من أن يُشعِلَ أحدكم من هذه الشمس شعلة من نار». فقال أبو طالب: والله ما كذب ابن أخي قط إرجعوا راشدين[1]. ورغم رفض أبي طالب لم يمتنعوا من معاودة الطلب، وأبا طالب لم يمتنع من الرفض، عند ذلك فكر الطغاة في أمر شنيع عظيم وهو إعدام النبي ﷺ، إلّا أن الله حال بينهم وبين ما يشتهون، وعزز نبيّه بإسلام حمزة أسد الله، وعمر الفاروق رضي الله عنهم، والذي أرجع قريش إلى أسلوب المساومة، لكن لم يفلحوا. عادت قريش مرة أخرى إلى الإضطهاد (فاجتمعوا في خيف بني كنانة من وادى المُحَصَّبِ فتحالفوا على بني هاشم وبني المطلب ألا يناكحوهم، ولا يبايعوهم، ولا يجالسوهم، ولا يخالطوهم، ولا يدخلوا بيوتهم، ولا يكلموهم، حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ للقتل، وكتبوا بذلك صحيفة عهود ومواثيق ظلم وعدوان)[2]، ولم يكتفوا بذلك بل حبسوهم في شعب أبي طالب ثلاث أعوام حتى بلغهم الجهد فالتجأوا إلى أكل الأوراق والجلود.

نُقِضت صحيفة الميثاق وفُك الحصار، وبعد ستة أشهر ألح المرض بأبي طالب، فلم يلبث أن وافته المنية. وبعد نحو شهرين أو ثلاثة توفيت أم المؤمنين خديجة الكبرى رضي الله عنها وسمي ذلك العام **عام الحزن**، (فاهتزت مشاعر الحزن والألم في قلب رسول الله ﷺ، ثم لم تزل تتوالى عليه المصائب من قومه. فإنهم تجرأوا عليه وكاشفوه بالنكال والأذى بعد موت أبي طالب، فازداد غمًا على غم، حتى يئس منهم، وخرج إلى الطائف رجاء أن يستجيبوا لدعوته، أو يؤووه وينصروه على قومه، فلم ير من يؤوى ولم ير ناصرًا، بل آذوه أشد الأذى، ونالوا منه ما لم ينله قومه)[3]. بهذا تحولت وجهته ﷺ إلى خارج مكة، (قال الزهرى: وكان ممن يسمى لنا من القبائل الذين أتاهم رسول الله ﷺ، ودعاهم وعرض نفسه عليهم: بنو عامر بن صَعْصَعَة، ومُحَارِب بن خَصَفَة، وفزارة، وغسان، ومرة، وحنيفة، وسليم، وعَبْس، وبنو نصر،

---

[1]- البخاري.

[2]- صفي الرحمان المباكفوري "الرحيق المختوم"، ص72.

[3]- صفي الرحمان المباكفوري "الرحيق المختوم"، ص78.

وبنو البَكَّاء، وكندة، وكلب، والحارث بن كعب، وعُذْرَة، والحضارمة، فلم يستجب منهم أحد. وهذه القبائل التي سماها الزهرى لم يكن عرض الإسلام عليها في سنة واحدة ولا في موسم واحد. وكما عرض رسول الله ﷺ الإسلام على القبائل والوفود، عرض على الأفراد والأشخاص، وحصل من بعضهم على ردود صالحة، وآمن به عدة رجال بعد هذا الموسم بقليل)[1]. ولا يزال على ذلك وقريش على مناكرها، حتى جاء الأمر من الله بالهجرة إلى المدينة، فهاجر بين أعين مائة من المشركين من قبائل شتى تركهم حول بيته في أتم الإستعداد لقتله ﷺلكن لم أخرى. لحقوا به طالبين دمه الشريف إلّا أن الله حال بينهم وبين ما يطلبون، إلى أن وصل المدينة سالما، لكن ليس بنية الرّاحة ولكن بنية الإستعداد لمواصلة الرسالة مع ما أمدّه الله من العون في المدينة.

أول ما بدأ به بناء المسجد النبوي، والمؤاخاة بين المسلمين، و(في هذه الظروف الخطيرة التي كانت تهدد كيان المسلمين بالمدينة، وتنبئ عن قريش أنهم لا يفيقون عن غيهم ولا يمتنعون عن تمردهم بحال، أنزل الله تعالى الإذن بالقتال للمسلمين و لم يفرضه عليهم، قال تعالى: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ} [الحج: 39]. ولما نزل الإذن بالقتال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبسط سيطرته على الطريق الرئيس الذي تسلكه قريش من مكة إلى الشام في تجاراتهم، وذلك بعقد معاهدات الحلف مع القبائل التي كانت مجاورة لهذا الطريق، وبإرسال البعوث إلى هذا الطريق)[2]. إلى أن وقعت غزوة بدر الكبرى، أول معركة من معارك الإسلام الفاصلة، وتلتها غزواة ومعارك أخرى (وكان إذا بعث سرية يوصيهم بتقوى الله، ويقول: "سيروا بسم الله وفي سبيل الله، قاتلوا مَن كفر بالله، ولا تمثلوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تقتلوا وليداً". وكان ينهى عن السّفر بالقرآن إلى أرض العدوّ، ويأمر أمير سريته أن يدعو عدوّه قبل القتال، إمّا إلى الإسلام والهجرة، أو الإسلام دون الهجرة، ويكونون كأعراب المسلمين ليس لهم نصيب في الفيء، أو بذل الجزية، فإن هم أجابوا إليه، قبل منهم، وإلاّ استعان بالله

---

[1]- صفي الرحمان المباكفوري "الرحيق المختوم"، ص:87-88.

[2]- صفي الرحمان المباكفوري "الرحيق المختوم"، ص132.

وقاتلهم)[1]، ولم يكن هدفه القتل، بل كان هدفه نصر الدين وحفظه لذا كان يوصي السرايا قائلا: "يسروا ولا تعسروا، وسكنوا ولا تنفروا". واستمر على النهج الذي أمره به ربه حتى أنه روي عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقد أخفت في الله وما يخاف أحد، ولقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد، ولقد أتت علي ثلاثون من بين يوم وليلة ومالي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه ابط بلال". رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. ومعنى هذا الحديث حين خرج النبي ﷺ هاربا من مكة ومعه بلال انما كان مع بلال من الطعام ما يحمل تحت ابطه[2].إلى أن توفته المنية ﷺ، ودخل الناس في الدين أفواجا، وكان من ءاخر ما أوصى به أصحابه، الجهاد في قوله "أنفدوا جيش أسامة". فعزّ الله الإسلام وأهله بنصرة دينهم وحفظه من جانب الوجود بالإيمان والعلم والدعوة إلى الله، ومن جانب العدم بالجهاد وقتال المشركين الذين يصدون عن دين الله والمنافقين الذين يدسون الدسائس بين المسلمين وما فرط في جانب من الجوانب، وترك أصحابا نسخة طبق الأصل منه، خلفوه في دعوته ورسالته.

المطلب الثالث: نماذج من حياة الصحابة.

إن خير من وطئ الأرض بعد الأنبياء هم صحابة رسول الله ﷺ، شهد على صدقهم رب العالمين، فقال سبحانه: "مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا" [الأحزاب:23]، وروي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: (من كان مُستنّاً فليستنَّ بمن قد مات، أولئك أَصحاب محمد ﷺ كانوا خير هذه الأمّة، أبرَّها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلَّها تكلُّفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيِّه ﷺ ونقل دينه، فتشبَّهوا بأَخلاقهم وطرائقهم؛ فهم أصحاب محمد ﷺ كانوا على الهدى المستقيم والله ربِّ الكعبة)[3].

1) إيمان الصحابة رضي الله عنهم:

---

[1]– محمد بن عبد الوهاب التميمي "مختصر زاد المعاد"، ص201.

[2]– وأخرجه ابن حِبّان في صحيحه. كذا في الترغيب. وأخرجه أيضاً ابن ماجَهْ، وأبو نُعيم.

[3]– أَخرجه أبو نُعيم في الحلية.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: أول من أظهر الإسلام سبعة: رسول الله ﷺ وأبو بكر، وعمَّار وأمه سُميَّة، وصهيب، وبلال؛ والمقداد، رضي الله عنهم. فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمِّه. وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه. وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدْرُع الحديد وصهروهم في الشمس، فما منهم من أحد إلا وقد آتاهم على ما أرادوا إلا بلالاً، فإنه هانت عليه نفسه في الله. وهان على قومه، فأخذوه فأعطَوه الولدان، فجعلوا يطوفون به في شِعاب مكة، وهو يقول: أحد، أحد[1].

كان الصحابة لايهتمون بشيء من أشياء الدنيا قدر ما يهتمون بإيمانهم بالله الذي سينجيهم غدا بين يدي ملك يوم الدّين عملا بوصايا رسول الله ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "إن حسن الظن بالله عز وجل من حسن عبادة الله وقال رسول الله ﷺ جددوا إيمانكم قالوا يا رسول الله وكيف نجدد إيماننا قال أكثروا من قول لا إله إلا الله"[2]. وأفضى اليقين إلى قلوبهم، وسيطر على نفوسهم وعقولهم وصدرت عنهم عجائب الإيمان بالغيب، والحب لله والرسول ﷺ، وإيثار الآخرة على الدّنيا، والهداية على الجباية، وقامت دولة التوحيد والإيمان والعبادة والتقوى. وهذا النّموذج خير برهان على إيمانهم ، عن أبي هريرة قال: لما نزل على رسول الله ﷺ ﴿**لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ فاشتد ذلك على صحابة رسول الله ﷺ، فأتوا رسول الله ﷺ ثم جثوا على الركب فقالوا: يا رسول الله كلفنا من الأعمال ما نطيق، الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم (سمعنا وعصينا)، بل قولوا (سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ)، فلما أقرّ بها القوم وذلّت بها ألسنتهم أنزل الله عز وجل في أثرها ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ**

---

[1]– أخرجه أحمد في مسنده، (مسند عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه). قال الذهبي: صحيح.

[2]– رواه أحمد ، وقال الهيثمي رجال أحمد ثقات، وقال المنذري في الترغيب إسناد أحمد حسن.

الْمَصِيرُ﴾، فلمّا فعلوا ذلك نسخها الله تبارك وتعالى بقوله: **﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾**[1].

2) حرص الصحابة على العلم والعمل:

عن أنس بن مالك قال: كان عبد الله بن رواحة إذا لقي الرجل من أصحابه يقول تعال نؤمن بربنا ساعة، فقال ذات يوم لرجل فغضب الرجل فجاء إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ألا ترى إلى ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة، فقال النبي ﷺ: "يرحم الله ابن رواحة إنه يحب المجالس التي تباهي بها الملائكة عليهم السلام"[2].

كانوا أحرص على تعمير قلوبهم بالعلم الرّباني على ملئ بطونهم بأشهى المأكولات، وكانوا يقصدون النبي ﷺ لطلب العلم، عن زر بن حبيش قال جاء رجل من مراد إلى رسول الله ﷺ يقال له صفوان بن عسال وهو في المسجد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما جاء بك"، قال: ابتغاء العلم قال: "فإن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع"[3]. وعن قبيصة بن المخارق قال: أتيت رسول الله ﷺ فقال لي: "يا قبيصة ما جاء بك"، قلت: كبرت سني ورق عظمي فأتيتك لتعلمني ما ينفعني الله عز وجل به، قال: "يا قبيصة ما مررت بحجر ولا شجر ولا مدر إلا استغفر لك..." [4].

ويتأثرون كثيرا بما يتعلمونه، عن عبد الله بن المبارك، أن شفيا الأصبحي حدث: "أنه دخل المدينة فإذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس، فقال من هذا؟ فقالوا: أبو هريرة فدنوت منه حتى قعدت بين يديه وهو

---

[1]- أخرجه أحمد في مسنده، (مسند أبي هريرة).

[2]- أخرجه أحمد في مسنده، (مسند أنس بن مالك رضي الله عنه).

[3]- أخرجه الحاكم في المستدرك. الرقم: (341)، في كتاب العلم.

[4]- أخرجه أحمد في مسنده، (مسند البصريين).

يحدث الناس، فلما سكت وخلا قلت له أسألك بحق وبحق لما حدثتني حديثا سمعته من رسول الله ﷺ عقلته وعلمته، فقال أبو هريرة: أفعل لأحدثنك حديثا حدثنيه رسول الله ﷺ عقلته وعلمته، ثم نشغ أبو هريرة نشغة فمكثنا قليلا ثم أفاق فقال: لأحدثنك حدثيا حدثنيه رسول الله ﷺ في هذا البيت ما معنا أحد غيري وغيره، ثم نشغ أبو هريرة نشغة شديدة، ثم مال خارا على وجهه فأسندته طويلا، ثم أفاق فقال: حدثني رسول الله ﷺ أن الله تعالى إذا كان يوم القيامة..." وذكر الحديث بطوله[1].

واستطاعوا الجمع بين العلم والكسب، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، عن عمر رضي الله عنه قال: إني كنت وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد، وهي من عوالي المدينة، وكنا نتناوب النزول على النبي ﷺ، فينزل يوما وأنزل يوما، فإذا نزلت جئته من خبر ذلك اليوم من الأمر وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك..." وذكر الحديث بطوله[2]. ومع ذلك لم يهملوا أحدهم تعليم أهله، لأنهم تعلموا من كتاب الله قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ [التحريم:6]، وهل تتقى نار الله إلا بالتّمسك بدينه، بل لم يكتفوا بأنفسهم وأهليهم فخرجوا إلى البلدن ليعلّموا الناس دين الله كما سيأتي في باب الدعوة إلى الله، ولا يعني الأخذ بدين الله، ترك ما سواه من علوم الدنيا ما إذا كانت فيها ضرورة دينية، عن ثابت بن عبيد قال: قال زيد بن ثابت قال لي رسول الله ﷺ: "تحسن السريانية إنها تأتيني كتب" قال: قلت: لا قال: "فتعلمها" فتعلمتها في سبعة عشر يوما[3]. وعن عمر بن قيس: كان لابن لزبير مائة غلام يتكلم كل غلام منهم بلغة أخرى فكان ابن الزبير يكلم كل واحد منهم بلغته، وكنت إذا نظرت إليه في أمر دنياه قلت هذا رجل لم يرد الله طرفة عين، وإذا نظرت إليه في أمر آخرته

---

[1]- أخرجه الترمذي في سننه. الرقم: (2489)، أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، وقال حديث حسن غريب.

[2]- أخرجه البخاري في صحيحه، الرقم:2336، (كتاب المظالم).

[3]- أحمد "مسند أحمد" (مسند الأنصار رضي الله عنهم).

قلت هذا رجل لم يرد الدنيا طرفة عين[1]. وعن عمر رضي الله عنه قال: "تعلّموا من هذه النّجوم ما تهتدون به في ظلمات البرّ والبحر ثم أمسكوا"[2].

هكذا حفظ الصحابة رضي الله عنهم الدّين بالعلم، ونقلوه إلى من بعدهم كما أخذوه من رسول الله ﷺ. فكيف حفظوا الدين بالدعوة إلى الله.

3) دعوة الصحابة رضي الله عنهم إلى الله:

كانت الدعوةُ إلى الله وإلى رسوله ﷺ أحَبَّ إلى الصحابة رضي الله عنهم من كل شيء وكانوا حريصين على أَن يهتديَ الناس ويدخلوا في دين الله ويَنْغَمسوا في رحمة الله، فكيف كان سعيهم في ذلك.

قال محمد بن اسحاق فلما أسلم أبو بكر وأظهر اسلامه دعا إلى الله عز وجل وكان أبو بكر رجلا مألفا لقومه محبا سهلا وكان أنسب قريش لقريش وأعلم قريش بما كان فيها من خير وشر وكان رجلا تاجرا ذا خلق معروف وكان رجال قومه يأتونه ويالفونه لغير واحد من الأمر لعلمه وتجارته وحسن مجالسته فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس اليه فاسلم على يديه فيما بلغني الزبير بن العوام وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم فانطلقوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم أبو بكر فعرض عليهم الاسلام وقرأ عليهم القرآن وأنبأهم بحق الاسلام فآمنوا وكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا في الاسلام صدقوا رسول الله ﷺ وآمنوا بما جاء من عند الله[3].

---

[1]- أخرجه الحاكم في المستدرك. الرقم:6335. كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم.

[2]- أخرجه ابن أبي شيبة في مصنّفه. الرقم:4. كتاب الأدب. باب تعليم النجوم.

[3]- ابن كثير "البداية والنهاية"، ج3، ص72.

كل وطريقته، فعن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر رضى الله تعالى عنه توضأ من بيت نصرانية أتاها، فقال أيتها العجوز اسلمي تسلمي، بعث الله بالحق محمدا ﷺ، فكشفت عن رأسها فإذا مثل الثغامة، فقالت: عجوز كبيرة وأنا أموت الآن، فقال عمر رضى الله تعالى عنه اللهم اشهد[1].

يدعون الناس ولا ينسون أهليهم، عن أبي هريرة قال: كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة. فدعوتها يوما فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره. فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي. قلت: يا رسول الله! إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى علي. فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره. فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة. فقال رسول الله ﷺ: "اللَّهم اهد أمَّ أبي هريرة"، فخرجت مستبشرا بدعوة نبي الله ﷺ. فلما جئت قصدت إلى الباب فإذا هو مجاف. فسمعت أمي حسَّ قدمي. فقالت: مكانك يا أبا هريرة! وسمعت حصحصة الماء. قال فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها. ففتحت الباب. ثم قالت: يا أبا هريرة، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. قال فرجعت إلى رسول الله ﷺ، فأتيته وأنا أبكي من الفرح. قال قلت: يا رسول الله، أبشر قد استجاب الله دعوتك وهدى أمَّ أبي هريرة. فحمد الله وأثنى عليه وقال خيرا[2].

ولا ينسون أقوامهم أيضا، كما في قصة دعوة الطفيل بن عمرو الدّوسي رضي الله عنه في قومه، لما دعا أباه وصاحبته فأسلما، فقال: "ودعوت دوسا إلى الإسلام فأبطأوا علي، ثم جئت رسول الله ﷺ بمكة، فقلت: يا نبي الله، إنَّه قد غلبني دَوْسٌ فادع الله عليهم فقال: «اللَّهم اهدِ دَوْساً، أرجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم». قال: فرجعت فلم أزل بأرض دَوْس أدعوهم إلى الإِسلام حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وقضى بدراً وأُحداً والخندق. ثم قدمت على رسول الله ﷺ بمن أسلم معي من قومي ورسول الله ﷺ بخيبر، حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً من دَوْس.

---

[1]- أخرجه الدار قطني في سننه. كتاب الطهارة.

[2]- مسلم في الصحيح. الرقم:(2491). كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل أبي هريرة رضي الله عنه.

ولم يكن خروجهم للقتال إلا للدعوة إلى الله عز وجل، كما في قصة إسلام جرير أحد الأمراء يوم اليرموك حين استفسر عن الإسلام فأجابه خالد بن الوليد رضي الله عنه ودعاه فأسلم واغتسل وصلى ركعتين وانقلب مع المسلمين في القتال، فقاتل حتى استشهد ولم يصلي لله إلا تلك الركعتين.

ناهيك عن إسالهم الأفراد والجماعات، وإرسالهم الكتب للدعوة إلى الله والدخول في الإسلام، ولا نجد أدلى من قبورهم التي تشهد عليهم في أنحاء المعمورة، تركوا خير الأوطان مكة والمدينة، وخير الخلق محمد رسول الله ﷺ، وخير الأصحاب رضي الله عنهم، وخير الأهل: أزواج وأولاد من الصحابة رضي الله عنهم، فشرقوا وغربوا، بلال مؤذن الرسول قبره في سوريا، وأبو أيوب الأنصاري في القسطنطينية، وأبو لبابة الأنصاري حلاق الرسول في تونس بالقيروان، وغيرهم كثير جدا يعَدُّون بالمئات، وهذا كله لأنهم فهموا من رسول الله ﷺ أنهم سيسألون بين يدي الله عن حفظ هذا الدين وإيصاله محفوظا إلى الأجيال التي تليهم.

4) الجهاد عند الصحابة رضي الله عنهم:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه حدثه قال: قيل يا رسول الله، أي الناس أفضل؟ فقال رسول الله ﷺ: "مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله". قالوا: ثم من؟ قال: "مؤمن في شعب من الشعاب، يتقي الله، ويدع الناس من شره". لأن المجاهد يحفظ الدين في نفسه وفي غيره إلى قيام الساعة، وأما العابد فإنه يحفظ الدين في نفسه وكفى[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: دلني على عمل يعدل الجهاد، قال: "لا أجده". قال: "هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك، فتقوم ولا تفتر، وتصوم ولا تفطر". قال: ومن يستطيع ذلك. قال أبو هريرة: إن فرس المجاهد ليستن في طوله، فيكتب له حسنات[1].

لَمّا كان الجهاد ذِرْوَةً سنام الإسلام، ومنازل أهله أعلى المنازل في الجنة، كما لهم الرّفعة في الدّنيا، كان رسول الله ﷺ في الذّروة العليا منه، فاستولى على أنواعه كلّها، فجاهد في الله حقّ جهاده بالقلب والجنان، والدّعوة والبيان، والسّيف والسّنان، فكانت ساعاته موقوفة على الجهاد، ولهذا كان أعظم

[1]- أخرجهما البخاري في صحيحه، الرقم:(2634،2633)، باب فضل الجهاد والسير.

العالمين عند الله قدراً كما قد بيناه من قبل. فتبعه أصحابه واستنوا بسنته ودعوا بدعوته وجاهدوا في الله حق جهاده.

اهتم الصحابة بإرسال الجيوش في سبيل الله وحرَّضوا من أجل ذلك، عن ابن إسحاق بن يسار في قصة خالد بن الوليد حين فرغ من اليمامة، كتب أبو بكر الصديق رضي الله عنه إليه وهو باليمامة، فذكره وأتباعه بفرض الجهاد وبوعد الله، وحرضهم على الغزوا في سبيل الله خفافا وثقالا والجهاد بالمال والنفس، ثم أمرهم بالمسير إلى العراق فلا يبرحوها حتى يأتيه أمره وحذّرهم من التَّثاقل[1]. وقد أرسلوا الكتب إلى المدائن للتحريض على الجهاد وبيان فضله.

بل كانوا يحزنون على عدم القدرة على الخروج والإنفاق في سبيل الله، قال محمد بن إسحاق في سياق غزوة تبوك: ثم إن رجالاً من المسلمين أتوا رسول الله ﷺ وهم البكاءون وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم, فاستحملوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا أهل حاجة فقال: ﴿**لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ**﴾ [التوبة:92][2].

وإذا تأخر أحدهم عن الجهاد أنكروا عليه، عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسرية تخرج، فقالوا: يا رسول الله أنخرج الليلة أم نمكث حتى نصبح، فقال: "أولا تحبون أن تبيتوا في خريف من خرائف الجنة" والخريف الحديقة[3]. أو تخلف عاتبوه، كما في قصة الثلاثة الذين خلفوا في غزوة تابوك وما لاقَوه من هجر المسلمين لهم لمدة خمسين يوما، وزاد أهلهم في العشر الأواخر بأمر من الرسول ﷺ[4]. ما أعظم أمر الجهاد حتى تكون التّوبة من التخلف عنه بهذا الشكل، وإن على شيء فإنما يدل على دوره العظيم في حفظ الدين من الزوال. وعن أسلم أبي عمران قال غزونا من

---

[1]- أخرجه البيهقي في سننه. الرقم:18391، كتاب السير، باب إظهار دين النبي ﷺ على الأديان.

[2]- التفسير لابن كثير.

[3]- أخرجه البيهقي في سننه. الرقم: 18273، كتاب السير، باب في فضل الجهاد في سبيل الله.

[4]- أخرجه البخاري في صحيحه. الرقم:4156. كتاب المغازي. باب حديث كعب بن مالك.

المدينة نريد القسطنطينية وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد والروم ملصقوا ظهورهم بحائط المدينة، فحمل رجل على العدو فقال الناس: مه مه، لا إله إلا الله يلقي بيديه إلى التهلكة، فقال أبو أيوب: إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما نصر الله نبيه وأظهر الإسلام قلنا: هلمّ نقيم في أموالنا ونصلحها. فأنزل الله عز وجل: ﴿**وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾ [البقرة:195] فالإلقاء بأيدينا إلى التهلكة أن نقيم في أموالنا ونصلحها وندع الجهاد، قال أبو عمران فلم يزل أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى دفن بالقسطنطينية[1].

و لم يتركوا الجهاد ولو في أثقل حال، فعن أنس رضى الله عنه، أن أبا طلحة رضى الله عنه قرأ القرآن "انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا" فقال أرى أن تستنفروا شيوخا وشبانا، فقالوا: يا أبانا لقد غزوت مع النبي ﷺ حتى مات، ومع أبي بكر وعمر رضى الله عنهما، فنحن نغزو عنك، فأبى فركب البحر حتى مات فلم يجدوا جزيرة يدفنوه إلا بعد سبعة أيام، قال فما تغير[2].

وما كانوا غافلين أثناء سيرهم، بل كانوا متحملين وبشجاعة مبهرة، مخلصين ذاكرين لله يدعونه تضرعا وخيفة، ويلازمون طلب العلم، ويحافظون على الصلوات، ولعلك تجد فيهم الصائم، وغيرها من حراسة وخدمة وجراحة.

ومع كل هذا كانت لهم الرغبة في الموت والقتل في سبيل الله، عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش. فلما رهقوه قال: "من يردهم عنا وله الجنة، أو هو رفيقي في الجنة"، فتقدم رجل من الأنصار، فقاتل حتى قتل، ثم رهقوه أيضا. فقال: "من يردهم عنا وله الجنة، أو هو رفيقي في الجنة" فتقدم رجل من الأنصار، فقاتل حتى قتل. فلم يزل كذلك حتى قتل السَّبعة. فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه: "ما أنصفنا أصحابنا"[3]. وعن حفصة بنت عمر رضي الله

---

[1]- أخرجه الحاكم في مستدركه.الرقم: 2434. كتاب الجهاد. وقال حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه

[2]- أخرجه الحاكم في مستدركه.الرقم:2503. كتاب الجهاد. وقال حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم و لم يخرجاه.

[3]- أخرجه مسلم في الصحيح. الرقم:1789. كتاب الجهاد والسير. باب غزوة بدر.

عنهما قالت: سمعت عمر يقول: اللهم ارزقني شهادة في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك صلى الله عليه وسلم[1].

و لم ينفرد الرجال فقط بهذا الدور، حتى النساء خرجن وقاتلن في سبيل الله، ورغبن في الجهاد لولا أن الرسولﷺ نهاهن. حتى بلغت الصبيان الرغبة على الجهاد، عن الشعبي ان امرأة دفعت إلى ابنها يوم أحد السيف، فلم يطق حمله فشدته على ساعده بنسعة، ثم أتت به النبي عليه الصلاة والسلام، فقالت: يا رسول الله، هذا ابني يقاتل عنك، فقال النبي عليه الصلاة والسلام: "أي بني، إحمل ها هنا، أي بني، إحمل ها هنا". فأصابته جراحة، فصرع، فأتي به النبيﷺ، فقال: أي بني لعلك جزعت "، قال: لا يا رسول اللهﷺ[2].

* هكذا كان الصحابة رضي الله عنهم، (خريجوا مدرسة محمدﷺ)، وضعوا أيديهم في يد الرسولﷺ، فهانت عليهم نفوسهم وأموالهم وعشيرتهم، واستطابوا المرارات والمكاره في سبيل حفظ الدين من كل جانب، طاعة لله المعبود الحق، واقتداءا وتأسيا بالمعلم والحبيب محمد رسول اللهﷺ.

---

[1]- أخرجه البخاري في الصحيح. الرقم:1791. أبواب فضائل المدينة. باب كراهية النبيﷺ أن تعرى المدينة.

[2]- أخرجه ابن شيبة في مصنفه.الرقم:41، كتاب المغازي.

خاتمة:

بعد أن جلنا وطفنا بالموضوع، الذي نأمل أنّنا قد وفّقنا إلى أن وفّيناه حقّه، توصلنا إلى النتائج التالية:

- ✓ إنّ الدّين مقصد عظيم، فمن أخذ به نال الحياة الطيبة وجزاه الله أحسن ما كان يعمل، ومن أعرض عنه فإن له معيشة ضنكا ويحشره الله يوم القيامة أعمى.
- ✓ الإنسانية كلّها مبنية على تفعيل مقصد الدين.
- ✓ كل مسلم من أمة محمدﷺ مسؤول على حفظ الدين بكل ما أوتي من قوة ووسيلة.
- ✓ شريعة الإسلام جاءت لما فيه صلاحُ البشر في العاجل والآجل.
- ✓ الدّين الكامل يكسب المؤمن العزّة والكرامة.
- ✓ سعادة ووحدة المسلمين وتمكينهم في الأرض فقط في اتّباع منهج الحقّ، والحق واحد لا يتجزئ.
- ✓ مقصد حفظ الدين أصل لباقي الضروريات الخمس، فحفظه حفظٌ للباقي وزواله زوالٌ للباقي.

وانتهينا إلى التوصيات التالية:

- ✓ رعاية علم المقاصد، بحيث يخص كل مقصد ضروري أو حاجي أو تحسيني بالتأليف
- ✓ التنسيق والتعاون بين رجالات الدّعوة، على مختلف مناهجهم، لتوضيف الإسلام كاملا في جميع ميادين الحياة.
- ✓ تنظيم حلقات أسرية لتعليم مبادئ الدّين.
- ✓ تنظيم مؤتمر سنوي تعالج فيه قضايا المسلمين الدينية.

هذا وإن أصبنا فبتكرّمٍ وتفضلٍّ من الله سبحانه وتعالى علينا، وإن أخطأنا فمن أنفسنا والشّيطان، والله ورسوله من ذلك براء، وأخيرا نسأل الله سبحانه وتعالى، أن يوفّقنا لخدمة الإسلام والمسلمين .وأن يهدي النّاس إلى هذا الدّين العظيم، والحكم بشريعة الله. وأن يغفر ذنوبنا، ويستر عيوبنا، ويحشرنا مع النّبيئين والصدّقين والشّهداء والصالحين وحسن أولائك رفيقا. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

فهرس المراجع

1. القرءان الكريم.
2. إبراهيم الديب "أسس الدّعوة الفردية"، دار الوفاء، ط2004/1م.
3. ابن تيمية "الفتاوى الكبرى" السعودية (1381، 1386).
4. ابن تيمية "مجموع الفتاوى". تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف (م.ع.السعودية)، (الإصدار1416/2هـ،1995م).
5. ابن قدامة " المغني"، تحقيق: د.عبد الله بنعبد المحسن التركي، وعبد الفتاح محمد الحلو.
6. ابن قيم "إعلام الموقعين"، تحقيق: مشهور حسن، دار ابن الجوزي (المملكة العربية السعودية)، (ط1423/1هـ)
7. ابن كثير "البداية والنهاية"، دار هجر، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، (ط1/ 1997م).
8. ابن منظور "لسان العرب"، مكتب تحقيق التراث. دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي (لبنان) ط1413/2ه/1993م.
9. ابن النجار "شرح الكوكب المنير"، تحقيق محمد الزحيلي، نزيه حماد. مكتبة العبيكان (الرياض)، (1993م).
10. أبوبكر الجزائري "منهاج المسلم".
11. أحمد بن حمد الخليلي "معالم الجيل الواعد".
12. أحمد بن حنبل "أصول السنة" مكتبة السنة، الإصدار الأول، إعداد موقع روح الإسلام.
13. أحمد بن على بن حجر العسقلاني "فتح الباري"، مكتبة الصّفا، (ط2003/1م).
14. أ. أحمد بن مهني مصلح، وعاشور بن يوسف كسكاس، وميلاد بن مهني "شذا من السيرة"، (ط1994/1م).
15. د. أحمد الريسوني "نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي"، المعهد العالمي للفكر الإسلامي (و.م.أ)، (ط1995/4م)
16. الإسنوي "نهاية السول في شرح منهاج الوصول"، دار: عالم الكتاب.
17. د. اسماعيل الحسني "نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور"، المعهد العالمي للفكر الإسلامي (و.م.أ)، (ط1995/1م).

18. الآمدي "الإحكام"، دار الصميعي، (م.ع.السعودية) ط2003/1م.
19. البدخشي "شرح البدخشي"، دار الكتب العلمية (لبنان).
20. د. جمال الدين محمد عطية "نحو تفعيل مقاصد الشريعة" المعهد العالمي للفكر الإسلامي (و.م.أ)، (ط2008/2م).
21. د. خالد زيد ميتا "الدعوة والتبليغ مسؤوليّة المسلمين في العالم"، مكتبة مسقط عمان (ط2008/1م).
22. د. زياد محمد احميدان "مقاصد الشريعة الإسلامية" مؤسسة الرسالة ناشرون (ط2008/1م).
23. راجح (كردي بني فضل)"، النبوة ضرورة لخلق الإنسان" المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، (العدد:2)، (1431هـ،2010م). الأردن. عدد الصفحات 209.
24. الرَّازي "المحصول"، تحقيق: د. طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة.
25. السرخسي "أصول السرخسي".
26. السيد سابق "فقه السنة".
27. سيّد قطب "في ظلال القرآن"، دار الشّروق، (ط1978/7م)
28. الشاطبي "الإعتصام"، مكتبة السنة، الإصدار الأول، إعداد موقع روح الإسلام.
29. الشاطبي "الموافقات"، تحقيق مشهور حسن، دار ابن عفان، (م.ع.السعودية) (ط1997/1م).
30. الشوكاني "إرشاد الفحول"، تحقيق: أبي حفص سامي بن العربي الأثري، دار الفضيلة (الرياض)، (ط2000/1م).
31. صفي الرحمان المباكفوري "الرحيق المختوم" دار الفكر (لبنان) (ط1425/1هـ،2005م).
32. الصنعاني "سبل السلام".
33. د.عادل عبد الله الليلي الشويخ "مسافر في قطار الدّعوة"، دار البشير للثقافة والعلوم، (ط2005/2م).
34. عبد الرّحمان حسن حبنكة الميداني "فقه الدّعوة إلى الله"، دار القلم (دمشق) (ط1996/1م).
35. د.عبد الكريم زيدان "أصول الدّعوة"، مؤسسة الرّسالة، 1418هـ/1998م.
36. عبد النور بازا "مصالح الإنسان مقاربة مقاصدية". المعهد العالمي للفكر الإسلامي (و,م,أ) (ط2008/1م).

37. عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام "نبذة من مقاصد الكتاب العزيز"، تحقيق: أيمن عبد الرزاق الشول، مكتبة الشام، توزيع مكتبة الغزالي "دمشق" (ط1/1995م).
38. عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام "الفوائد".
39. عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام "قواعد الأحكام"، تحقيق: د. نزيه كمال حماد، ود. عثمان جمعة ضميريّة، دار القلم (دمشق)، (ط1/2000م)، دار البشير (جدة).
40. الغزالي "المستصفى"، د.حمزة بن زهير حافظ، الجامعة الإسلامية، كلية الشريعة، المدينة المنورة.
41. القرافي "شرح تنقيح الفصول"، دار الفكر (لبنان) 2004م.
42. د.قطب مصطفى سانو "معجم مصطلحات أصول الفقه"، دار الفكر المعاصر، (ط1).
43. محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي "نثر الورود على مراقي السعود" دار المنارة، (ط1).
44. محمد بن صالح العثيمين "القول المفيد على كتاب التوحيد"، دار ابن الجوزي، (سعودية) (ط2/1424هـ)
45. محمد بن صالح بن محمد العثيمين "كتاب العلم"، مكتبة نور الهدى.
46. محمد بن عبد الوهاب التميمي "مختصر زاد المعاد"، تحقيق: محمد طلحة بلال (الجزائر)، الشركة الجزائرية اللبنانية، (ط1/2007م).
47. محمد بن يوسف أبي حيّان الاندلسي "تفسير البحر المحيط"، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمود معوض. دار الكتب العلميّة (لبنان)، (ط1/ 1413هـ،1993م).
48. محمد بن يوسف اطفيّش "تيسير التفسير"، تحقيق وإخراج الشّيخ ابراهيم بن محمد طلاي، المطبعة العربية.
49. محمد البشير الحاج سالم "مفهوم مخالفة الأصل" المعهد العالمي للفكر الإسلامي (و.م.أ)، (ط1).
50. د. محمد حسان "خواطر على طريق الدّعوة"، مكتبة فياض، (1427هـ/2006م).
51. محمد الطاهر بن عاشور " التحرير والتنوير" دار سحنون (تونس).
52. العلامة الإمام محمد الطاهر ابن عاشور "مقاصد الشريعة الإسلامية"، دار السلام (القاهرة)، (ط4/2009م).
53. د. محمد سعد اليوبي "مقاصد الشريعة الإسلامية "، دار الهجرة (المملكة العربية السعودية)، (ط1/1998م).
54. محمد عبد الوهاب "الأصول الثلاثة".

55. محمد علي الصّابوني "صفوة التفاسير"، دار إحياء التراث العربي (بيروت – لبنان) ط1.
56. محمد الغزالي "مع الله"، مطبعة حسّان. (ط5/1401هـ،1981م).
57. المرداوي "التحبير شرح التحرير"، تحقيق: عبد الرحمان الجبرين، مكتبة الرشد (الرياض).
58. د. مصطفى سعيد الخن، د. محيي الدّين "مستو العقيدة الإسلامية أركانها، حقائقها، مفسداتها"، دار الكلم الطيّب (دمشق)، (1452هـ/2004م).
59. نور الدين السّالمي "منظومتي أنوار العقول وكشف الحقيقة".
60. د.وهبة الزحيلي "الفقه الإسلامي وأدلته"، دار الفكر (دمشق)، (ط2/1985م).
61. د. يوسف أحمد محمَّد البدوي "مقاصد الشريعة عند ابن تيمية"، دار النفائس، الأردن.
62. د. يوسف حامد العالم "المقاصد العامة للشريعة الإسلامية"، المعهد العالمي للفكر الإسلامي (و,م,أ)، (ط1/1994م).
63. يوسف دودو "مقصد حفظ الأمة عند المالكية"، بحث لنيل دبلوم الماستر، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية "فاس، المغرب"، (1432هـ/2011م).
64. د.يوسف الشبيلي "مقاصد التشريع الإسلامي".
65. صحيح البخاري، موسوعة الحديث النبوي الشريف، موقع روح الإسلام.
66. صحيح مسلم، موسوعة الحديث النبوي الشريف، موقع روح الإسلام.
67. صحيح ابن حبان، موسوعة الحديث النبوي الشريف، موقع روح الإسلام.
68. سنن الترمذي، موسوعة الحديث النبوي الشريف، موقع روح الإسلام.
69. سنن الدار قطني، موسوعة الحديث النبوي الشريف، موقع روح الإسلام.
70. مستدرك الحاكم، موسوعة الحديث النبوي الشريف، موقع روح الإسلام.
71. مسند أحمد، موسوعة الحديث النبوي الشريف، موقع روح الإسلام.
72. مصنّف ابن أبي شيبة، موسوعة الحديث النبوي الشريف، موقع روح الإسلام.
73. حلية الأولياء لأبو نُعيم، موسوعة الحديث النبوي الشريف، موقع روح الإسلام.
74. تفسير ابن كثير، القرءان الكريم مع التفسير (الإصدار4)، موقع روح الإسلام.
75. تفسير القرطبي، القرءان الكريم مع التفسير (الإصدار4)، موقع روح الإسلام.
76. تفسير الطبري، القرءان الكريم مع التفسير (الإصدار4)، موقع روح الإسلام.
77. تفسير بن العثيمين، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية (2000م).
78. تفسير العز بن عبد السلام، ط1(1996م).

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

شكر وعرفان: 01

إهداء: 02

إهداء: 03

مقدمة: 04

المبحث الأول: مدخل إلى مقاصد الشريعة "حفظ الدين" نموذجا.....08

المطلب الأول: مدخل إلى مقاصد الشريعة.....08

الفرع الأول: تعريف المقاصد.....08

الفرع الثاني: أهمية المقاصد.....09

أهمية المقاصد بالنسبة لعامة المسلمين.....09

أهمية المقاصد بالنسبة للمجتهد.....10

الفرع الثالث:أقسام المقاصد.....11

باعتبار ءاثارها في قوام الأمة.....12

باعتبار تعلقها بعموم الأمة أو جماعتها أو أفرادها.....18

باعتبار تحقق الإحتياج إليها في قوام أمر الأمة أو الأفراد.....19

المطلب الثاني: مقصد حفظ الدين.....20

الفرع الأول: تعريف حفظ الدين.....20

تعريف الحفظ "لغة، واصطلاحا": 20
تعريف الدين "لغة، واصطلاحا": 21
تعريف حفظ الدين: 22
الفرع الثاني: أهمية الدين وحفظه 22
الفرع الثالث: مرتبة حفظ الدين في الكليات الخمس 25
تقديم حفظ الدين على غيره من الضروريات 25
تأخير حفظ الدين عن سائر الضروريات أو بعضها 26
القول المبين لتقديم حفظ الدين 28
المبحث الثاني: وسائل حفظ الدّين 30
المطلب الأول: حفظ الدين من جانب الوجود 30
الوسيلة الأولى: الإيمان بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر 30
الوسيلة الثانية: العمل والحكم بالدّين 32
الوسيلة الثالثة: الدّعوة 33
تعريف الدّعوة ومشروعيتها 34
وسائل الدعوة 36
صفات الداعي 38
حكم التبليغ 40
المطلب الثاني: حفظ الدين من جانب العدم 40

الوسيلة الأولى: الجهاد 41
الوسيلة الثانية: محاربة الردة 42
الوسيلة الثالثة: محاربة الأهواء والبدع وأهلهما 44
المبحث الثالث: نماذج من الكتاب والسيرة النبوية وحياة الصحابة لحفظ الدين 47
المطلب الأول: نماذج من الكتاب 47
النموذج الأول: مدح الدين 47
النموذج الثاني: الإيمان بالله 48
النموذج الثالث: العلم 50
النموذج الرابع: الدعوة إلى الله 52
النموذج الخامس: الجهاد 54
النموذج السادس: محاربة الشرك 55
النموذج السابع: محاربة النِّفاق 56
النموذج الثامن: محاربة الردة 56
النموذج التاسع: محاربة البدعة 58
المطلب الثاني: نماذج من السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام 58
المطلب الثالث: نماذج من حياة الصحابة 63
إيمان الصحابة رضي الله عنهم 64
حرص الصحابة على العلم والعمل 65

دعوة الصحابة رضي الله عنهم إلى الله 67

الجهاد عند الصحابة رضي الله عنهم 69

خاتمة 73

فهرس المراجع 74

فهرس الموضوعات 78